رواية

رامي عمّار

النبراسي

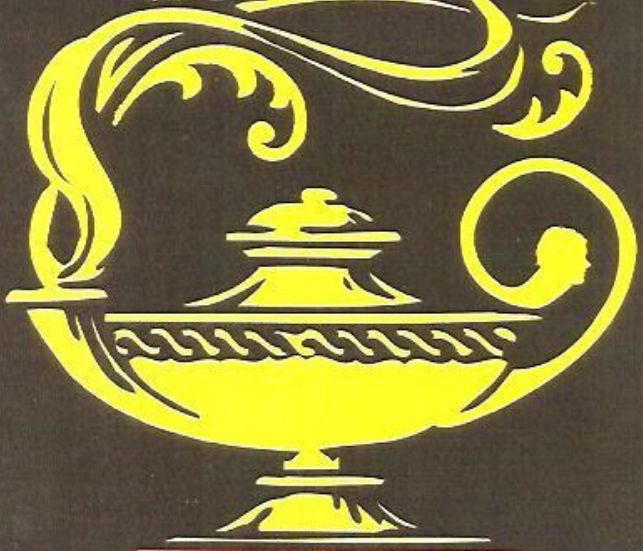

دار المصري للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf

النبْراسِ

النبراسي
رامي عمّار

تصميم الغلاف:
عبد الرحمن الصوّاف

المصحح اللغوي
عُلا عبد المجيد

رسومات داخلية
مارسيلو ماتشوكا

الطبعة الأولى يناير ٢٠١٥م.

رقم الإيداع: 2014/23263

ISBN: 978-977-770-006-1

المصري للنشر والتوزيع

المدير العام: **يوسف ناصف**

عمارات العرائس
المعادي الجديدة – القاهرة
+2 01064378376
+2 01146335098
info@elmasrypublishing.com
www.elmasrypublishing.com

fb/mashro3pdf

رامي عمّار

النبْراسِيّ

fb/mashro3pdf

دار المصري للنشر و التوزيع

fb/mashro3pdf

الحَمَأْ نَبُتَ منه الإنسان

القَمْحُ يُسَحق بحجر الصّوان

الرَّايَةُ ترَفرِف فوق الجدران

الأُمم تُفنَى بكلمة سلطان

المنابر تصيحُ بهِيَاج الخَبَلان

الحق ورقة مختومة البُطلان

الجسد الراقِد مَأكل الديدان

القلب النابض ممسوس الإيمان

الروح الآثمة مُعَلّقَةُ الغفران

فحين إذٍ تذكّر أن

الفِتن مكائد

والمصائب ابتلاء

والزمن دائر

والقلم شهيد

fb/mashro3pdf

fb/mashro3pdf

الصَّاوَرِىّ(*)

نَفسُك مُقَيَّدة للأَزَلِ بكُرْسِىّ، الكُرْسِىّ مَرْصُوصٌ بصَفٍّ تَبَيَّنَ أن مَصِيرُك بمَخْطُوطَةٍ لست أنت من خَطّها بيدك تسعَى لِاخْتِيَارٍ بَعِيد عن حدّك المَرْسومُ فيَأبَى الدَّجَّال أن تختار تَثورُ عليه بالتَّسَاؤُلِ فيرُدّ عليك بجَوابيْن إما أن تتَوَلَّى الدَّفَّة فتُمسى متَخَبِّطَ المَسِيرِ إلى نُصْرَةِ عَقْل أو اتِّهام بجُنُون؛ وإما أن تَأمَن مكانك تاركًا العَاقِبَة لغيرك فتموت هنىءَ النفس فإنك لست المُلاَمُ.

* * *

«ينغلق الخط وتَنقَلِب مَلاَمِحُ وَجْهِه قَابَ قَوْسَيْنِ

(*) هو الشخص الذى يُعتَمَد عليه ليَشُدّ صارى السَّفِينَة أو العَمُود الذي يَرتكِزُ فى وَسَطِ السَّفِينَة ليوضع عَلَيْهِ الشِّرَاع

fb/mashro3pdf

أَوْ أَدْنَى الحال قد تَبَدّلت بعد أن حُمِّل الأمانة الغُصَّةُ في الحَلْق تزيدُ الخيارات حِدَّة تحاصره الظنُونُ تُهْجُرُه المَشُورَة تنْسَحِبَ الأنوار المرشدة لتتركه في ظلام دامس»

* * *

بزَغَ النجمُ من العَتَم.. ظلٌّ رماديٌّ فوق صخر متكسّر مُرتَم فوق قمة جبل المقطم الظل لكهلٍ أجعدٍ هزيل يتساقط عن جبينه العرق الكهل مُعَصَّبُ الرأس بِعمَامَةٍ مخروطية بالية يرتدى جلبابًا زيتونيَّ اللون متسخ الأطراف وله لِحْيَةٌ طويلة شعثاء مَجْدُولَة النهايات يضرب بعصاه الأرض راجيًا إياها الصعود نحو مبتغاه العالى البعيد فوق قمة الجبل جسده النحيل يتأرجح يمينًا وشمالا لتَتَدَلَّى عن كتفه الأيمن حقيبة قماشية ضامرة الأحمال مُرقعة الزوايا تراه تحسبه جثة بُعِثت من بين شواهد القبور المُبعثرة من وراءه يخشع القلب من هَيْئَته الوَعْرة التي تشبه رجلًا ينتمى لزمن يَعْقوب عَلَيْهِ السَّلَام يتوقف الشيخ بأرض مستوية ويخلع الحقيبة من على كتفه ويلقى بها بالقرب منه ويضع العصا أمامه يقبع جالسًا غير مُبَال بالأتربة المُبتلّة أسفله فتتسخ ملابسه

fb/mashro3pdf

بالوحل يرفع رأسه للسماء وعيونه موصدة واضعًا يداه المفتوحتان فوق فخذيه مُرتَخ القبضتين بدأ يتمتم كالمَغشَّى عليه وبصوت أَجَشّ مبحوح يتلو صلاة المَلاك الهابط من سماء عجماء لا شيء حوله سوى الصمت التام والفراغ المعتم اقْشَعَرَّ بدنه حين تَهَيَّأُ لينْشَدَ قصيدة الصوفى المذبوح فوق الصليب أخذ يكررها منذ انشقاق الفجر إلى أن توسطت الشمس السماء وأصبح نورها متعامدًا فوق الرؤوس استيقظ من غفوته كمن صَعقه البَرْقُ؛ لِتنْحَسِرَ العين عن وُسعها وعن السكون.. يشرع مسرعًا في جمع حاجاته المبعثرة حوله ويهرع راكضًا متجهًا للأسفل في عجلة من أمره المبهم لسانه ينطق بدعاء أعجمى وهو مخلص العزيمة لتلبية نداء القدر الغيبيّ

دعوتني إليكَ أم دعوتك لي النداء لكَ والتلبية لي
دعوتني إليكَ أم دعوتك لي النداء لكَ والتلبية لي

* * *

أرجل تتزاحم وأحذية لامعة تخْطو فوق البلاط

fb/mashro3pdf

الحكومي.. بجوار أحد الأعمدة الرخامية العملاقة والحاملة لقوائم إحدى قاعات المحاكم.. تستوقف الصدفة كلًا منهما وبحفاوة يحتضن زميله في الثوب الأسْوَد والذى كان يحمل دفاتر وأوراق يهنئ زميله المحامى الذي انتصر في قضيته الأخيرة وظفر بحكم البراءة لموكله الذي رُفعت في حقه دعْوَى كانت معلومة الفتوى للجميع بأنه مذنب ولزم كسر حنجرته ليموت مخنوقًا مشنوقًا بحبل الإعدام كونه من قد أفشى الفساد بين الناس؛ فنجد القاضى قد أقر على موكله بِحُكم مَدْعُوم بالقانون بأنه برىء لعدم كفاية الأدلة القاطعة والمنصوصة بالكتب التي قد انتشرت طولًا وعرضًا بالأرض حتى تَدَنَّسَ ماء المطر وذبلت بالبساتين أزهار الياسَمين

- مبروك يا سالم البراءة لموكّلك انت خرّجت الراجل من القضية صاغ سليم وممكن كمان ترفع قضية تعويض

- الله يبارك فيك القضية كانت صعبة اوى لكن بشوية تكتيك وتفتيح مخ عرفت اوصل للحكم ده بسهولة

- بسهولة ازاى ده موكلك كان رايح في داهية ده الناس

fb/mashro3pdf

كلها عارفة هو عمل إيه!

- يعرفوا اللي يعرفوه المهم المتسجل في الأوراق المكتوب هو اللي بيتحكم بيه احنا عايشين في دولة القانون

- القضية دي هترفعك السما وهيزيد عدد موكليك الكبار

- عندك حق أنا كنت على أعصابى الأيام اللي فاتت خصوصًا ان فتحى الطحان كان مستنى يعرف الحكم عشان يبعت لي ورق قضية تبعه تشبه القضية دي والأسبوع الجاى هقابله عشان آخد القضية ادعى لي

- فتحى الطحان حتة واحدة! ربنا يكرمك

- يا رب الأسبوع الجاى هو أهم أسبوع في حياتى

يكملان باقى الحديث في السؤال عن الأهل إلى أن يودع كل منهما الآخر ويهمان بالذهاب في سلام كلٌ في طريقه المعاكس مبتعديْن عن المبنى المكتظ بالناس.

* * *

طُرْقةٌ مُظلمة بمنزل عتيق قد بصقت الرطوبة على

fb/mashro3pdf

جدرانه.. تتحسس ببصرك عن مصدر ذاك النور الأبيض الخافت الآتى من نهاية الطُّرْقَة ليقودك الضوء نحو غرفة تتقدم في خطواتك شيئًا فشيئًا فترى الوانًا مطبوعة فوق حائط أبيض باهت اللون الالوان تتغير كل بضعة ثوان لتَحزَر أن هناك تلفاز تجد على جوارك شابًا نحيلًا أشعث الشعر رث المظهر متكئ على أريكة بزيّ منزليّ مهلهل ممسك بجهاز التحكم عن بعد لا تنفك أصابعه عن الضغط وكأن الجهاز بيده معطل يقلّب بين المحطات الفضائية لعله يجد ما يملأ وقت فراغه الدائم.

يجلس إلى جواره رجل قد اشتعلت مقدمة رأسه شيبًا يرتدى عباءة صوفية له هيئة الوقار

- يا ابنى وجعت عنيا يا تسيب قناة واحدة يا تجيب الريموت ده

- ما هو مافيش جديد ف التليفزيون اعملك إيه يعنى؟

- ما انت مش بتتفرج أصلًا يا صابر!

- استنى هشوف قناة الأفلام عليها إيه

- أفلام إيه اللي لسه هتشوفها هات كده الريموت ده

fb/mashro3pdf

الساعة بقت ٨ عاوز اتفرج على البرنامج

- طب استنى خلاص هجيبه.. وآدى البرنامج بتاعك اهوه الا عمره ما جاب حاجة كويسة أبدًا ودايمًا الدنيا سودا ومفيش أمل

- اسكت بقى عاوز اتفرج

- (المذيع في التلفاز أعزائى المشاهدين أهلًا ومرحبًا بكم)

ترك صابر والده واتجه إلى غرفته جلس إلى مكتبه وقام بتشغيل جهاز الكمبيوتر الخاص به وأكمل بتصفح الإنترنت يبحث عن عمل بخارج مصر بعد أن هلك حذائه وتمزق وهو يجوب الشوارع سائلًا أصحاب الأعمال عله يجد عملًا يناسبه لكنه بعد أن أيقن أن العمل بأرض الوطن بات مَحض أمنية لا أكثر استجاب لنصيحة المغادرة إلى خارج الحدود؛ ليبدأ من بعدها بنشر أوراقه بكل ما يجده أمامه لعله يظفر بوظيفة يستطيع منها أن يتحمل عبء نفسه يلمح إعلانًا فيقرأه

« مطلوب شاب مؤهل عالى يجيد الكمبيوتر والإنجليزية

fb/mashro3pdf

بأجر مجزى للسفر إلى الخارج للتواصل يرجى الاتصال على رقم.....»

ينظر أمامه باحثًا عن هاتفه ليجده يكبس الأزرار ليكتب الأرقام الظاهرة أمامه على الشاشة الكبيرة ينصت لرنين الاتصال ليجد استجابة

- ألو السلام عليكم.. مكتب الطحان للعمالة؟ أيوه حضرتك أنا بتصل عشان الإعلان.. أيوة بعتّ «السى في» بتاعى على إيميل المكتب الموجود على الموقع.. خلاص أنا مستنى تليفون من حضرتك.. شكرًا

يشعر بارتياح كونه أرضى ضميره الذي يسأله مرارًا «ماذا فعلت اليوم أيها العاطل عن العمل؟» فيُقدّم العذر المقبول «بدوّر على شغل» ينتبه إلى صوت رنة مزعجة لأغنية كلماتها خليعة تخرج من هاتفه يقترب بنظره من الشاشة الصغيرة المضيئة ليتعرف على اسم المتصل اتصال من صديق يهم في الحال ليبدل ملابسه من أجل نزهة إلى المقهى المجاور لمنزله يخرج للصالة ويقترب من والده بحذر وقلبه يملؤه الخزى

fb/mashro3pdf

- بابا أنا نازل مع اصحابى وكنت عاوز فلوس

- عندك في درج التسريحة خد اللي انت عاوزه

اعتاد الأب ألَّا يعطى ابنه المال من يده كى يحافظ على نفس ابنه المنكسرة وتبقى كرامته مُعَزَّزة يقترب صابر من الباب ويصيح

«أنا نازل عاوزين حاجة من تحت؟» فتجيبه والدته من داخل إحدى الغرف

- هتنزل فين؟

- القهوة اللي على ناصية شارع المرشدى

- ماتتأخرش برة.. واوعى تشرب سجاير

* * *

عِظَامُها الليّنَة تتراقص باستسلام.. رموشها قد خطّها القلم بسواد الكُحل عيناها العسلية اللون ناعستان ومن أسفل جفونها داكِن دلالة على الإرهاق يفوح منها رائحة عطر أنثوى يلفظ أنفاسه الأخيرة مازالت محتفظة بملابسها مهندمة برغم شعرها الأشعث وتبرج وجهها

fb/mashro3pdf

الممسوح جالسة بالمقعد الأمامى في سيارة مصنعة من معدن القصدير كعبوة مُطبقة عائدة متعبة من عمل بإحدى المستشفيات طبيبة الامتياز جاهدت طوال حياتها لأجل هذا اللقب (دكتورة ميرفت) تبحث في حقيبتها الجلدية عمّا طلبه السائق الجالس بجوارها من نقود كى يوصلها إلى أقرب مكان لمنزلها تُخرِج بعد ذلك هاتفها المحمول وتعبث بين صور قد جمعتها بأحدهم ترتسم على جانب شفتيها ابتسامة حنين متمنيةً اقتراب اليوم الذي تنتقل فيه «الدبلة» من يدها اليمنى إلى اليسرى يرن هاتفها باسم مقرب لقلبها الحالم (روح قلبى) تعتدل في جلستها وتتنهد لتجيب على الاتصال

«ايوة يا حبيبى.. معلش اتأخرت بس عشان الشغل.. أنا مروّحة في الطريق وقرّبت من البيت خلاص.. معلش ماعرفتش اتصل بيك عشان الزحمة والمواصلات.. آخر مرة سامحنى.. بحبك اوى»

يقترب السائق بأصابعه من مسجل السيارة ليرفع من مستوى صوت أغانيه المفضلة كى يعيش لحظة انبساط ما يتذمر الراكبون معه لكن في صمت تتجرأ الفتاة

fb/mashro3pdf

وتطلب منه في رقة أن يعيد الصوت إلى مستواه المنخفض كما كان أو أن يغلق المسجل فهكذا أفضل للجميع ماعدا هو يتضايق الرجل منها كونها الوحيدة التي اعترضت ولم تتركه في حاله الهائم

- معلش يا آنسة بس أنا مابعرفش اتكيّف الا والصوت عالى

- بس ده إزعاج ممكن تسمع على قدك وتتكيف برضو

- عربيتى وانا حر فيها واللى مش عاجبه ينزل ياخد تاكس

- انت بتقدم خدمة وبتاخد عليها مقابل ومن حقى ما اتعرّضش لإزعاج سواء منك أو من حد غيرك لأنك اتعديت حدودك المسموح بيها والصوت هنا أصبح مُضر و....

- بس خلاص افصلى بقى.. يا دي قلبة المزاج بكلامك اللي مش فاهم له معنى ده وآدى الزفت وَطّيته انتى نازلة فين يا أبلة؟

- أول شارع المرشدى يا اسطى ولو سمحت توطى

fb/mashro3pdf

الصوت شوية كمان بعد إذنك

* * *

أسند صابر ظهره إلى أحد أعمدة الإنارة القريبة من منزله والمعلق عليه لافته معدنية مكتوب عليها (شارع المُرْشِدى) في انتظار قدوم صديقه يلتفت يمينًا ويسارًا وجهه متأفف من الشارع الضيق والقمِئ ومن رؤية تلك الرسمة الكئيبة المتواجدة على وجوه أُناس قد فقدوا الأمل في الحياة ويتمنون الموت بديلًا وفى أقرب ساعة لعلهم يعرفون الراحة هربًا من تلك العيشة التي باتت بلا مَهْرَب فهذا الإمام عبد الصمد في طريق عودته من المسجد متجهًا للصيدلية كى يشترى منها مجموعته من المسكنات فهو مصاب بمرض لا نجاة منه ولا تكفى ثروته مضاعفة ثمنًا لعلاج فعال فإن اسمه قد سقط سهوًا من لائحة الدولة للمكرمين الذين يُعالجون على نفقتها.. وهذه أم شيرين في خضم مجادلة سوفسطائية مع البقال حول ديونهم المشكوك في أمر سدادها فإنهم لا يملكون الا الفتات المبعثر بعد أن تم إحالة زوجها للمعاش المبكر حيث أن أجره الزهيد كان يمثل عبئًا

fb/mashro3pdf

على ميزانية الشركة وكان لابد من طرده.. وتلك هدى تطل من شباكها الرمادى هائمة الوجه تنظر للسماء منتظرة فارس الأحلام بحصان أبيض ينتشلها من تلك البقعة المظلمة لتتقلص أحلامها بأن تصير أمًا لأطفال فلا تعرف غير ذلك مبتغى.. وهنالك يأتى حسن دافعًا الكرسى المتحرك والجالس عليه والده الأستاذ حسانين الذي انكسر ظهره وصار مُقعدًا جراء حادث سيارة وتشاء الأقدار السماوية أن يمتلك السيارة أحد أبطال الفضائيات فيمسى الحق رسالة تبحث عن نبى مؤيد بوحى ليطالب به يرتسم الاشمئزاز على وجه صابر يرى صديقه قادمًا من بعيد فينادى عليه أن يسرع

- يلا يا عم انت كل مرة تتأخر عاوز امشى من هنا بقى

- يعنى هيحصل جديد ما احنا بننزل كل يوم

- هانت بكرة اسافر واهج من المنطقة الفقر دي

- أمّا أنا لسه شايف حتة بنت نازلة من ميكروباص إنما إيه عسل!

- عسل! طب يلا يا عسل

fb/mashro3pdf

امتلأ المقهى بروّاد قانطون.. متراصّون إلى جوار بعضهم البعض وهم في تصالح فيما بينهم منذ زمن لم يعد أحد منهم يتذكر متى توقف بهم الزمن عند تلك الساعة التي تُعاد كل يوم في نفس التوقيت وبنفس الأحداث يبحث الصديقان عن الركن المعتاد القابع بتلك الزاوية الحاوية لمقاعد السيامية يقترب منهم فتى المقهى ليطرح عليهم السؤال المعتاد «هتشربوا إيه؟» تمسّهم الحيرة الساذجة لينظرا إلى وجهى بعضهما البعض فيهتديا إلى الاختيار الدائم الذي يأتى بعد عدة نظرات للاستشارة البليدة وبإجابة مليئة باللامبالاة..«شـــاى»..

يقضى الصديقان السهرة بالنميمة عن فتيات جوار النَعِيم يحلقان بخيالهما فوق سحب الأوهام وبين أبراج شاهقة يحلمان أن تزورهما عروس بسيارتها الفارهة ونظارتها العاكسة وشعرها الهش الطويل مرتدية ملابس تبرز مفاتنها ليهربا بصحبتها إلى أرض السعادة بالشواطىء الخاصة.

الوقت زَهيدٌ.. وها قد انقضت ساعات وفيرة في حياة فارغة ليُدفَن اليوم بلا ندم يلهوان محاولَيْن الاستمتاع

fb/mashro3pdf

بالقضاء على كل دقيقة أُتيحت لهم في الحياة محاولتين النسيان تنتهى الليلة بالعودة للمنزل وقد أصابهما الهم يعود صابر ليجلس أمام الشاشة ليكمل أُمسيته مع صديقه الإنترنت يتوضأ ويصلى ركعتيْن تقرُّبًا إلى عالم الحال يتوجه لسريره عَلّه ينام متمنيًا الاستيقاظ على صباح مُحمّل برسالة عنوانها الخلاص.. «السفـر».

* * *

الصباح المَأْمُول.. رنين الهاتف يأتى من جانبه يمد يده ليجيب نظرة عن قرب وإذا برقم ليس بالمُسجّل

- ألو؟

- السلام عليكم أستاذ صابر معايا؟

- وعليكم السلام أيوة يا فندم مين حضرتك؟

- معاك مكتب الطحان يا فندم أنا بتصل بحضرتك عشان اقولك إن عندك مقابلة الأسبوع الجاى هنا في المكتب بخصوص طلب العمل أيا ريت لو معاك قلم وورقة عشان تكتب العنوان

- ثانية واحدة اجيب قلم

fb/mashro3pdf

- (قفزة استيقاظ من فوق السرير يعبث بمحتويات أدراج مكتبه ليجد ضالته من القلم والورقة) أيوة العنوان فين حضرتك؟ أيوة عارف شارع سعد زغلول.. أيوة أيوة الشارع اللي ورا مجلس الشعب.. آجى امتى حضرتك؟ يوم التلات اللي جاى.. خلاص هبقى هناك الساعة ٤ بالضبط.. وعليكم السلام..

fb/mashro3pdf

السّقْطِيّ (*)

الورقة في النتيجة المعلقة على الحائط تعلن أن اليوم هو الثلاثاء وبجوارها أن الساعة الثانية عشرة والربع انعكاس بالمرآة لشفرة حادة أسفل الذقن تزيل آثار تركها الصابون بحماس يتجه ناحية خزانة ملابسه البِذلة هي ما سوف يزيده أناقة الساعة الفضية النظارة السوداء الحذاء المُدبب نزل إلى الشارع ورمق الأهالى بنظرة سخط محدثًا نفسه «خلاص هانت يا منطقة معفنة سايبهالكم وماشى».. يكفى أن تقترب منه فتتشبع ملابسك بعطره الفواح نزل بمحطة سعد زغلول ليباشر البحث عن

(*) هو السَّاقِط من الناس وأسفلهم منزلة كونه لئيماً ويستغل حاجات الناس ويبيع لهم الحقير من المَتَاع والطعام.

fb/mashro3pdf

المكتب يمر من أمامه رجل مسن وقد ترك الزمن توقيعه على وجهه المسالم يجر المسن خلفه حقيبة كبيرة بالية مليئة بالذكريات، يستوقفه صابر

- السلام عليكم يا حاج

- وعليكم السلام أيوة يا ابنى؟

- ما تعرفش مكتب الطحان للعمالة فين؟

- (بأعين مَشدوهَة) مكتب الطحان؟!

- أيوة

- (شرد في لحظة استذكار لأرض قد نكثت الوعد) ممم.. بص انت هتمشى على طول هتخش يمين تمشى شوية أول يمين يقابلك ادخل فيه هتلاقى معرض اسالهم وهما هيدلوك

- طيب متشكر يا حاج تحب اساعدك في حاجة؟

- لا مؤاخذة يا ابنى ولو فيها رزالة ممكن تشيل بس معايا الشنطة لحد المحطة اللي هناك دي؟

يقترب من معصم المُسِن ليأخذ عنه الحقيبة ويتجه معه

fb/mashro3pdf

إلى حيث أراد، يُكمِل المسن الشارد طريقه مودعًا صابر بأدعية أمانى البسطاء.

مَن العارف منكم يا قوم؟ يظل يسأل ويسأل والجميع يجيب بوجهات نظر مختلفة ومتناقضة كونهم حمقى يتباهون بجهلهم وكأنهم يطرحون الآراء عن ما هو في مخيلاتهم الخصبة «يمين يسار اذهب إلى هناك ارجع من حيث أتيت» إلى أن يستسلم للنصيحة الخائبة «عليك بسيارة أجرة» يقف فوق الرصيف تعلو وجه صابر علامات الغضب من كثرة الاستشارات الطائشة التي جعلت منه ضالا قد أضاعه الناس بالتحري عن الطريق الصواب لينتهي به الحال مرغمًا عند الاختيار المُكلف لجيبه تقترب سيارة أجرة من بعيد فيشير لها بذراع ممتد أن تتوقف

- فاضى يا اسطى؟

- (بنظره استغراب) أيوة انت رايح فين؟

- عند مجلس الشعب كده

- ٢٠ جنيه

fb/mashro3pdf

- خلاص ماشى المهم اوصل بس في ميعادى

يركب صابر ويخبر السائق العنوان كما كتب بالورقة يتجه السائق إلى وسط البلد ليعبر من ميدان التحرير لم يعتد أن يقابل هؤلاء في حياته أن يشاهد معارضين رافعين لافتات معلنة الاحتجاج مطالبين بحقهم من صانع المفاتيح في أن ينزل من فوق عرشه الشاهق ويمنحهم مفتاحًا لحياة متكافئة تضمن أن يمتلك الفقير بينهم الحلم وأن تُوفّر له المقدرة ليشيد ذاك الحلم بأيدٍ عُزّل اندهَش صابر وكأنه عبر بجوار كرنفال القبعات البرتقالية التسع يلتفت إلى السائق لعله يجد بجعبته إجابة

- هو في إيه؟

- مافيش يا باشمهندز دول ناس نازلين عشان اتخنقوا من الدنيا واللى فيها

- بس دول كتير اوى أنا كنت بشوفهم قبل كده بس كانوا بيبقوا ١٠٠ أو ٢٠٠ واحد بالكتير مش كل دول!

- يا سيدى خلى الشعب يعيش وآخرتها إيه يعنى هيطلع عليهم كام واد أمن مركزى يدوّروا فيهم الضرب لغاية

fb/mashro3pdf

ما يقولوا حقى برقبتى وكله على بيته كربون واللى فوق بيتفرج من البلكون

- طيب بسرعة شويه وحياة والدك أنا متأخر

- اصبر الطريق واقف

يستطرد السائق باقى حواديت الشوارع المؤلَّفة لا تستحوذ تلك القصص على اهتمام صابر الصامت في ضيق قد عاش عمرًا كاملًا يستمع لمواعظ بشر عُصاة بالفِطرَة دون أن يشهد بعينه الجحيم المكروه فلعلّه أَجْدَرُ بالمعيشة عن دنيا عبثية المنشأ والمراد اعتاد أن تتكلم الالسنة دون توقف دون داع دون مجيب.. «فلتخبرنى أيها الحاكى المغوار ما التغير الحاصل من تلك التجمعات المُعْتَرِضة على كَوْنٍ لا بديل لنا سواه؟ ما النتيجة النهائية بعد كل تلك التضحيات بأرواح فانية مصيرها الحصاد عاجلًا كان أم آجلًا؟ هل سمعت يومًا عن معركة تستنير بها أفئدة لم تُبصر الا الظلام؟ المحصلة المكتوبة والمؤكدة هي صـــفـــر دائمًا وأبدًا صفر.. لِمَ الشقاء لأجل التعساء؟ منا من جعلوه يبيع اسمه ليهجر أرضه وينسى أهله ويحيى لقيطًا أصدقاء يشترون الموت على ضفاف

fb/mashro3pdf

شواطئ الغربة بتأشيرة يانصيب إما أن تعيش أو تموت وفى كلتا الحالتين أنت مدفون سواء فوقها أو تحتها الخائن هو من انتزع التاج واكْتَسَى الأوسمة وانحنى له التاريخ ماذا ستفعل أى لافتات أو صيحات؟ هيهات هيهات..».

بعد معاناة للخروج من الزحام والوصول إلى العنوان المكتوب بالورقة تتوقف السيارة أمام مبنى شاهق عتيق معلق على أحد شُرفاته لافتة عملاقة مُزينة بأنوار النيون الساطع [شركة الطحان لالحاق العمالة المصرية بالخارج لصاحبها فتحى حسن الطحان] يدخل صابر المبنى ويصل للمكتب ليجذب نظره موظفة الاستقبال..

المُسْتَقْبِلَة مُمْتَلِئة الخَدَّيْنِ ذات ملابس كاتمة للأنفاس تضع فوق رأسها كومة مُربطة من الأقمشة الزاهية طبقة سميكة من غبار أبيض معتقدةً كما أخبروها أن هكذا يكون الجمال عروس من السكر الأبيض اللاَذِع المذاق جالسة بمكتب مكدس بأوراق الطلبات المُلطخة بالحبر الأزرق الجاف غارقة بين أصوات رنين الهواتف العالية وضوضاء الحاضرين الغفيرة يفزَع صابر في داخله من

fb/mashro3pdf

هَوْل أعداد المقبلين على السفر «أَكُلُّ هؤلاء مسافرون!»

يكمل خطواته باتجاه الموظفة

- السلام عليكم

- وعليكم أى خدمة؟

- أنا كان عندى مقابلة النهاردة المكتب كلمنى عشان آجى

- طب اتفضل اقعد انت معادك كان امتى؟

- الساعة ٤

- الساعة دلوقتى ٥ ونص إيه اللي أخرك كده؟

- معلش أصلى ماكنتش اعرف العنوان

- طب استنى دورك

* * *

ذو الطَّوْلِ في الزى الوَقُور حائرٌ بين الالوان الزاهية فهو الجاهل بمعانى الإهداءات فالورود جميعها بَدِيعة مادامت ورودًا والنساء أيضًا فَاتِنات كونهن خُلقن إناثًا

fb/mashro3pdf

لولا الأزهار لباتت الأرض قاتمة لا بهجة بها تمامًا كالمرأة تمنح الحياة لكل ما تمسسه يداها وإذا رحلت عن الكون ذَبُلَت الأزهار كآبة يرجح له صاحب البستان تلك الباقة لتلك المناسبة يتقبل الشاب الاختيار الموثوق منه ويأخذ الباقة الملفوفة يخرج من المحل في طريقه للشارع يمسح بأنامله فوق الدبْلة يُخرِج هاتفه من جيبه ليطلب المرغوبة لقلبه (ميرفت) لا يمكن بدأ المكالمة نظرًا لأن الهاتف المطلوب ربما يكون مغلقًا يضغط على الأزرار ليكتب رسالة من جملة واحدة «وحشنى وجودك المبهج بحبك من غير أسئلة»

إرسال...

* * *

الغُرْفَة لا نَوَافِذُ لها يتجه سالم إلى أحد المقاعد التي يكسوها الجلد السويدى ويضع حقيبته المستطيلة فوق المنضدة المربعة الصغيرة يصافح صاحب المكان والذى أشار له بدوره بالجلوس أمام مكتبه الفخم كى يكمل ارتشاف القهوة مستمتعًا بإحداث صرير بفمه

.- مبروك يا مِتر سالم بجد عجبتنى

fb/mashro3pdf

- (يخفض رأسه تواضعًا) دي شهادة اعتز بيها يا طحان بيه

- السُمعة سابقاك

- متشكر يا طحان بيه

- كفاية مجاملات ونيجى للشغل

- (يفتح أحد أدراج مكتبه المُذهب النقوش ويخرج عدة رُزم مستفة من أوراق فئة المائة ويرتبها هرميًا) اللي قدامك دول جر ريق هيكونوا من نصيبك وهيكون في أضعافهم

- (يقرب سالم يده من الثروة السريعة ليخطفها فيسبقه الطحان بسحب يد سالم بعيدًا عن أمواله)

- اجمد أنا ما بحبش النتش لسه اللحظة دي ماجتش في عمرك

- بس دي قضية والقضية لها أتعاب والأتعاب بتتدفع مقدم

- لا.. انت نسيت انك بتشتغل مع الطحان يعنى تدينى غلة أسلمك طحين

- وأنا صنعتى القانون

fb/mashro3pdf

- يبقى انت كده جبت المفيد الورق هتلاقيه برة عند السكرتيرة ذاكر فيه براحتك واللى تلاقيه صعب قدامك بكلمة منى يتمحى

- تحب نبدأ من امتى يا فتحى بيه؟

- من دلوقتى بس افتكر إن حياتك قبل ما تدخل من الباب ده غير بعد تخرج منه الاتفاق هيقيّدك معايا والكلمة بحساب واللى يخرج برانا جزاؤه لو حكمت دم أنا بوابة يا تعديك يا تقفل على رقبتك

- ماتحملش هم يا طحان بيه وانا عارف أنا بتعامل مع مين كويس والا كان زمانى مش قدامك دلوقتى

- اتفقنا اتفضل انت عشان وقتك بتمن

يتصافح الاثنان يحمل رجل القانون حقيبته ويزرِّر بذلته ليغادر يرفع الطحان السماعة ويأمر السكرتيرة بأن تلبى طلبات المحامى وتعطيه الأوراق تعاهدوا على مِيثاق الزيف أن يحموا الحرام بنصوص نقف مُهَلّلين لمن نحتوا من الخبث صنمًا مقدسًا لنسجد له عن طيب خاطر وأُنوفُنا ممرّمَغةً بالتراب تواضعنا لما هو أدنى المراتب

fb/mashro3pdf

فنزلنا لدرْكِ السَافِلِين مُجْبَرين على الآثام منتهزين حوائج الناس مُتَفاخِرين بإتْيانُ المعاصى ولا معصية أعظم من ظلْم الأنْفُس.. فيا قوم لِمَ تقسون على الكَلِيل ولا تقربون الطاغية بسوء وكلما ذُكِر عليكم اسمه باركتموه وسالتم له العافية؟ الا يكفى أنه ترك لكم الحضيض لتتقَاسموه تحلفون أنكم لا تخشون الا المولى وحين نسالكم العون تفلتوا أيديكم عنا وتتركوننا وحدنا بالمَوْقِعَة حاملين سيوفًا متكسّرة.. إذن فلتحلّ عليكم لعنة العَوَز إلى أبد الآبِدين.

* * *

ثلاث ساعات هي ما أتمه صابر بكرسيّه البلاستيكى لتكون المحصلة تورّم مؤخرته من أثر الجلوس وكأنه معاقب على التأخير يجاوره مهاجر آخر من المنتظرين وقد أكثر التَثَاؤب يعتدل في جلسته ويتجه نحو صابر بوجهه

- انت جاى على شغل إيه؟

- انت بتكلمنى أنا!

fb/mashro3pdf

- أصل أنا جالى عقد بـ٢٠٠٠ درهم هشتغل هناك كاشير في مولوانت؟

- أنا لسه مش عارف دي أول مرة آجى المكتب

- أصلهم بيقولوا إن الدرهم هيعلى الأيام الجاية

- معرفش مش متابع

- انت غيرت الجواز بتاعك ولا لسه؟

- لسه لما اشوف إيه اللي هيحصل

- طب هات رقمك جايز نسافر مع بعض واهو نونّس بعض في الغربة يا صاحبى

- ٠١×××××××× ربنا يوفق الجميع يا صاحبى

تخبره الموظفة أن دوره قد حان ليقابل المستخلص الجالس هناك بتلك الحجرة المثلجة الحوائط شاب في الثلاثينيات يرتدى نظارة تكسبه مظهر المشاهير شعر قصير لامع يستقبل صابر بابتسامة ويصافحه يمسك بيده أوراق هوية صابر وبعدها يرمقه بنظرة متفحصة سريعة احترف قراءة أعين الضالين يشير لصابر بإصبعه

fb/mashro3pdf

بأن يجلس أمامه.

- ازيك يا أستاذ صابر؟

- الحمد لله كويس

- تحب تشرب حاجة؟

- لا شكرًا

- بص يا سيدى الشغل اللي جايلك مُدخِل بيانات في مصنع بس أهم حاجة تكون بتعرف تشتغل على وورد وإكسل المرتب ٢٠٠٠ والسكن والأكل والموصلات على الكفيل والعقد سنتين وقابل للتجديد و...

- طب بعد إذنك ممكن أشوف العقد؟

- لما نتفق الأول وبعدين مستعجل على إيه؟

- آسف كمل حضرتك

- انت معاك جواز سفر؟

- لا لسه

- طب تمام انت هتروح نقابة الحرفيين وتغير المهنة في الجواز لعامل عشان التأشيرة و..

fb/mashro3pdf

- عامـل!! ده أنا معايا مؤهل عالى! بقى بعد التعب ده كله واللى أهلى صرفوه عليا ابقى عامل؟!

- (يلتف بالكرسى ليدير ظهره ويعبث بأوراق خلفه) هي هتفرق عندك في إيه؟ ما انت ما بتشتغلش وبعدين انت لك اللي بقولك عليه ده النظام في البلد دي لو مش عاجبك انت حر في كتيـــر منتظرين بره

إذا ضغطت فوق جرح المَكْدوم فسوف تجعله يصرخ سائلًا إياك الخلاص من الالم حتى وإن طعنت صدره بخنجرك بصعوبة يبتلع صابر الذلة يستسلم للقدر ويلعن الظرف الذي اقتاده لهذا الموقف المشين «أأتخلى عن زهرة سنين عمرى من أجل أن أجمع من الفتات ما بالكاد يساعدنى لبدء حياة؟! تبًا لتلك الحياة!»

- (يخفض رأسه معلنًا الاستسلام) خلاص يا أستاذ هعمل اللي تقول عليه...

- ماتزعلش منى لكن أنا بتكلم لمصلحتك وهو ده النظام اللي ماشى على الكل تجيلى هنا بعد أسبوع وتكون مغير الجواز بتاعك لعامل وتجهز معاك ٦٠٠٠ جنيه

fb/mashro3pdf

تمن التأشيرة والتذكرة وما تتأخرش عشان المكان مش بيستنى حد

- (بنبرة أسى) حاضر...

غادر المكان المشؤوم.. يحل ربطة عنقه يمزق مظروف أوراقه يركل حجرًا بحذاءه ضيّق الصدر مكتوم الأنفاس مُحتبِس الدمع «سحقًا لك يا وطن! أنبيع كرامتنا ثمنًا للرغيف؟ أهذا جزاء تغريدنا ونحن صغار كل صباح بأناشيد تبجيلك؟ نردد أشعار العشق لوطن لم نعرف فيه الا الطين» تمنى لو ترك الصف الطويل كزملاءه الذين حلت عليهم الكرامات تذكر طفلًا بداخله كان دومًا يسائل الغد «ماذا سأصير حينما أبلغ بقامتى طولًا؟».

يتوجه إلى أقرب محطة أنفاق مرورًا بميدان التحرير أصوات مُتخبّطة من يطلب علاجًا ومن يطلب عملًا ومن يطلب سكنًا متفقين على شعار (عيش.. حرية.. عدالة اجتماعية) انخفض بهم سقف الطموح لتصير الحقوق مطالب مرجوة مُغيّبٌ عن ذلك العالم الغوغائى طمست الكآبة على قلبه ناظرًا لهم بعين ناقمة «أفيقوا يا بشر ليس هنالك من مستجيب لن تنبت أحلامكم بأرض بور»

fb/mashro3pdf

يواصل طريقه وصولًا لمنزله يدخل على أهله بلا سلام ليحبس جسده بغرفته ممتنعًا عن الكلام مضربًا عن الطعام حدادًا على حاله لينام وهو يتمنى الا يستيقظ.

يستفيق من نومه مُكدّر الصفو يخرج من غرفته فيجد والده المتابع بشغف للأخبار في التلفاز «هذا وقد عمت بالأمس تظاهرات يوم الغضب عدد من محافظات مصر خاصة القاهرة والإسكندرية والسويس وكفر الشيخ والمنصورة؛ لينتج عنها مصادمات بين الشرطة والمتظاهرين استخدمت فيها الشرطة القنابل المسيلة للدموع والهراوات والرصاص المطاطى لتفريق المتظاهرين هذا وقد اعتصم الالاف من المتظاهرين في ميدان التحرير وسط العاصمة المصرية مؤكدين على عدم مغادرة المكان الا بعد الاستجابة لمطالبهم وقد صرح مصدر مسئول عن.....»

- (بحاجبين مقطبين يقاطع لحظة المتابعة) بابا أنا هعمل إيه في موضوع الجواز ده؟

- (عينه لا تفارق الشاشة) ابقى انزل فوت على عمك ابو مدحت واديله الورق والصور وهو هيتصرف

fb/mashro3pdf

ماتشليش هم

- أنا متضايق اوى من موضوع عامل ده

- مش مشكله بكرة تغيّرها المهم تركز في شغلك وافتكر انك رايح تعمل فلوس واديك شايف رجلك حفيت من اللف في الشوارع على الشركات والمصانع ومالقيتش شغل هنعمل إيه يا ابنى آدى الله وآدى حكمته

- هو في إيه يا بابا إيه ده؟

- الناس نزلت امبارح وعملوا مظاهرات بس المشكلة ان في ناس ماتت واتعور كتير ربنا يستر

- يعنى اللي بيعملوه ده له لازمة؟ ناس مجانين

* * *

الحلم مَبْتُورُ والحُر مَأْسور والحق مَغْمُور.. ليس هو الوحيد الذي قَبِلَ بجرعة الكأس المر؛ بل سبقه كثيرون وأصبح مُشرعًا تحت مسمى «لقمة العيش».. إنكار فغضب فتفاوض فكآبة فاستسلام.. بعد اعتكاف دام ثلاث ليال قَاطَعَ العزلة على نداء أذان صلاة الجمعة فحمل سجادته فوق كتفه ونزل ليلحق بباب المسجد

fb/mashro3pdf

أنصت للخطبة أتم الصلاة ألقى السلام رأى الحاج قادمًا ضخم البنية مسطح الكفين جلبابه فضفاض ناصع البياض لحيته شَعثاء لم تقربها شفرة قط جاد الملامح.

- السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ازيك يا صابر عامل إيه؟

- الحمد لله ازيك يا شيخ عبد الحليم؟

- الحمد لله مش هتيجى معانا يا صابر ميدان التحرير؟

- الميدان! اعمل إيه هناك؟

- المظاهرات شغالة بقالها كام يوم الناس زهقت يا صابر من الوضع وعاوزين حقهم وجه الوقت اللي نعمل فيه حاجة

- قال نعمل حاجة واحنا هنروح لوحدنا ولا معانا حد؟

- هنروح أنا وانت وسامح وميشو

- مابلاش ميشو أصله عيل من بتوع النت ومش هايستحمل خبطة

- ما تخافش هانحميه ويبقى حد يقرب له وشوف هنعمل فيه إيه ها هتيجى ولا لأ؟

- طب استنى هطلع أغيّر هدومى وآجى معاكم..

fb/mashro3pdf

الجُلّابىّ(*)

«انـــزل يا صابر»

نَاداه المُلْتَحِى.. ثلاثة أخذ كل منهم ركنًا بزاوية المربع إلى أن حضر رابعهم المنتظر سامح؛ هو أحدهم والأصغر بينهم هو ميشيل أما الثالث فقد كان الملتحى عبد الحليم سامح من الواصفين للعقاقير وميشيل من الرَاسِمين بالبَرْجل جائهم صابر ومد يده ليصافحهم فوبخه عبد الحليم لتأخره.

- ما خلاص يا شيخ عبد الحليم هو الميدان هيطير! ازيك يا دكتور عامل إيه وهتفتح العيادة امتى عشان

(*) هو ماء الورد والمقصود به هو أطهر ما يستخرج من الورود.

fb/mashro3pdf

نيجى نبارك؟

- قريب إن شاء الله ادعى لنا

- (يضع يده فوق رقبة أصغرهم سنًا مداعبًا) ازيك يا ميشو عامل إيه ياض مش هتسيبك من النت ده بقى وتيجى تقعد معايا على القهوة؟

- قهوة إيه بس والبلد والعة!

اتجه الأربعة للميدان.. متخذين نفس الطريق مختلفى النوايا ما بين فضول وملل أو حَمَاسَة وترقُّب دخلوا الميدان ودخل إلى قلوبهم بصيص أمل بأرواح طيبة كنا قد اعتقدنا أنهم لن يبعثوا بيننا أبدًا الأربعة مبتسمين وقد ملأ الفرح قلوبهم و تَلالأت أعينهم بالدمع خاب سَحَرَة الفرعون في التنبؤ بالرُّؤيَا «أكُلّ هؤلاء نطقوا الشهادة بزمان اعتدناه أخرس اللسان؟!»

ثار المصريون على أنفسهم..

- يااااااااه كل دي بشر!

- مش قلت لك يا صابر الناس خلاص نطقت

fb/mashro3pdf

- عشان تصدق كلامى إن البلد والعة.

تلك الأرواح الطيبة ترحب بوجودك فهم سعداء بك مقدرين قدومك أحباء قد فرّقهم ضباب العزلة إلى أن جمع شملهم الزمان بلقاء جليل في يوم طال انتظاره أبْشِر أيها المُسْتَبْشِر اهتف غنّ صفق ارفع لافتة لوّح بعلم افْتِخارٌ اقترن بالأسماء حتى الممات ليس بالمقدور إحصاؤهم ولا التصدى لأحلامهم الـ.....

'تُسكَب قَطرَةٌ من حِبر أَسْوَد قاتِم بكأس به ماء صافى؛ فتكَدّره'

تَباعَدَت الأيدى تفرقت الجموع حُبِست الأنفاس غيّمت السماء دخانًا والصَّفير بالآذان يُدوّى من أزِيز المُفَرْقَعات تساقطوا كأوراق الشَّجَر بفصل الخريف «كيف أَمْكَنَ حصدنا بلَمْحِ البَصَر؟ أهذا أنت أيها الموت؟ يا من نرتدى من أجله السَوَاد؟ أهذا جيشك الغاشم يقَذف من بنادِقه الرصاصات الحارقة لصدورنا المكشوفة؟ أحان موعد الفراق بالساعة التي قُدّر لنا فيها أن نلتقي فَرِحِينَ؟ لِمَ يا موت جِئْتَنَا بَغتَة ونحن لم نكن نرغب برُؤيَاك؟ لِمَ لَمْ يستجب الله لدعواتنا سلفًا حين

fb/mashro3pdf

سالناه الخلاص على يديك من تلك الحياة؟ أجئتنا مُهنئًا بالمهمة الموكلة اليك؟ مرحبًا بك يا موت بين مَسَاكِينَ لم يشتهوا من الدنيا الا حُسن الختام»

- (يخفض رأسه ويضع يده بجيبه) خد المنديل ده يا صابر حطه على بوقك عشان الدخان

- هو في إيه؟! إيه اللي بيحصل يا شيخ عبد الحليم؟

- خد بس المنديل دول الأمن المركزى طالعين عشان يمشّوا الناس

- بالطريقة دي! امّال لو كان الناس دي خرجوا يسرقوا كانوا عملوا فيهم إيه!

- شوف سامح وميشيل فين؟

(يلتفت حوله فيجد سامح وقد سقط مغشيًا عليه بالقرب منهم جَرَى اليه وحمله إلى مكان آمن)

- خد يا دكتور حط المنديل ده على بوقك

- ميشيل.. دور على ميشيل وسيبنى هنا أنا شوية وهفوق الواد ده أمانة في رقبتنا

fb/mashro3pdf

رَكض لا يعلم النجْدَة روح تَائِه..

أم لسقوط لا صحْوَة من بعده..

رَكض وهو لا يعلم الهلاك أم لِحْيا.. لكنه رَكض..

بين الضبابات الخانقة يلمح شبح صديقه بعيدًا فنادى الصديق واستجاب الصديق لندائه.

- (بصوت عال هستيرى) ميشو... واد يا ميشو؟!

-(انتبه فالتفت فأشارَ) أيوة يا صابر أنا هنا تعالى

خَرَجَت من بين الأطياف المُتَخَبِّطة.. رآها قادمة من أجل الصديق حاول صابر أن ينبه ميشيل للفرار من أمامها كلما ابتعد هو عنها كلما اقتربت هي منه مندفعة مصممة متأكدة يضمحل الزمان من حول صابر إلى أن صارت صراخاته مُحتبِسة في جوفه.

العينان مَشْدُوهتان..

والقلب مُتضرِّع..

والعقل مُعْتَلّ..

وحيد بجسد عاجِز يصرخ يحسب من نفسه أنه قد يأمر

fb/mashro3pdf

القدر أن افعل.. «لاا»

الصُّورَة تقطُر دمًا.. سُطِّرت النهاية الحزينة أسفل عجلات مدرعة يقودها جبان نسى كلمة إنسان الواجب مُقدس حتى وإن كان على حساب أجساد حية.. ثلاثون ثانية.. ليخرج بعدها جثة هامدة مشوهة الملامح.. ثلاثون ثانية من العذاب تركت خلفها الامًا من القهر الامًا قد صارت إرثًا لقتيل تُوزّع آهاته بين المتواجدين يجمعون أشلاءه المتناثرة فوق أرض تنكرت لشهداء ماتوا فداءً لها يتساقط دمه الطاهر على ملابس إخوانه يحملونه والذعر قد ملأ أفئدتهم.. سؤال واحد لماذا؟ لتجيب ذاكرتهم لا اله الا الله لا اله الا الله.

التقطت الذاكرة الصورة التي لن تنمحى أبدًا لن تنمحى.. كلما نظر اليها تذكر أنه بلا نفع لم يمنع بحضوره أذىً مؤكدًا خذلته اليد حين رجاها يسقط أرضًا بالقاضية يجثو على ركبتيه باكيًا «ما الذي فعله هذا المسكين ليستحق مثل تلك المِيتة؟! أهُنّا عليك يا وطـن؟ أباتت أحلامنا الوردية عقبة بطريقك لتسحقها ببطش حذاءك ؟! تُرى أفبعد الصبر نفوز بعطفك أم أنك

fb/mashro3pdf

اعتدت الطاعة لتستعبدنا؟!»

السؤال وِزْر الشَكْوَى حَرَام السكوت الزَام.. عِظامه ثَقُلَتْ أرجله خُدِّرَت قلبه يَعْتَصِرُه الالم دمه يفُورُ ارتفع برأسه إلى السماء لينفث بركان غضب بصرخة وجع مدوية «ااااااااااااااااااااااااااااااه يـــــا بـــــلـــد!»

* * *

دَوِّن بالصَّحِيفَةِ يا مَلاَكْ

فها أَنَا للأولى مُسْتَرِيح

وها أَنَا أخيرًا بلا قَيد

فتلك كانت لَحْظَةُ احْتِضَارى

* * *

برغم بَدنه المفتت بجانب الرصيف برغم عظامه المتهشمة البارزة برغم جسده المطحون البالى لم يتبقّ منه سواها غادرهم وترك من بعده أثرها على شفتيه ترك من بعده ابتسامة كلما حاولوا غلق فمه ابتسم رغمًا عنهم «أتبتسم ونحن على فراقك حَزَانَى؟ أَفَرَأَيْتَ دارُ الخلْد

fb/mashro3pdf

واستَقبَلَتك الملائكة؟ سلامٌ عليك يا من عشت شَقِيًّا ومِتّ مَسْرورًا».

نَفخَ المَلاك بروحه.. يهرع صابر مسرعًا بحثًا عن صديقه بعقل رافض التوقيع على مكتوب القدر يخترق الحشود المجتمعة حول جثمان مطموس المعالم مفكك الأوصال متناثر الأشلاء في محاولة منهم لستر عورته أمام رفيق الحى لا يعلم من هذا ينظر إلى وجهٍ سيزوره بكوابيس اليقظة تقسو عليه عاطفته لتُلقى به أرضًا ببكاء جيّاش يدمع له الفؤاد يضم الصديق إلى صدره يكاد يسحق ما تبقى منه يندب مبحوح الصوت (سامحنى يا أخويا معرفتش أحميك)

خَربت الأدمغة.. تسمّروا بتعبيرات متصلبة أثر هروب الكلمات منهم «لا نعرف الكلام بمثل تلك المواقف لم يخبرنا آباءنا أنه سيأتى يوم ونشهد فيه موتى مُلقوْن بالطُّرقَات» في الوقت الذي كان سيسود فيه الصمت تقدم أحدهم للتدخل لينقذ الموقف من بين أيدى هؤلاء المُسْتَضْعَفين.

- هو كان أخوك؟

fb/mashro3pdf

- (يكاد الدمع يمحو سواد عينيه وبنبرة كَمَانٍ متقطع النغمات) أخويا وصاحبي وحبيبي

- (يضرب كفيه أسفًا) لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم شهيد إن شاء الله يلا يا اخوانّا مش عاوزين لمة هنا الله يستركم وانت ايدك معايا نشيله

- (يستهلّون من حوله بأقاويل الثبات) إنا لله وإنا اليه راجعون..

ينتشلونه من بين أحضانه ليحل المُنْتَحِب ذراعه هرم الشاب ترتعش شفتاه مُصدِرةً صفيرًا متكررًا لتَهْتَهَة (سامحنى) يُقرّب الرجل المنقذ يده من جيوب قميص ميشيل ويفتشها علّه يجد ما يستدل منه على هذا الفقيد فيجد عنوان منزله مكتوب ببطاقة الهوية ينادى على بعض الشباب كى يبحثوا عن طريق لتعود تلك الجثة إلى أهلها خرج من بيته حاملًا الراية ليعود إلى أمه مكفنًا بها خرج فخورًا بمصريته فخذلته مصريته.

بدأت الشمس تعلن عن المغادرة.. مازال صابر محاصرًا بين أنقاضٍ لأهوال سقطت فوق أكتافه بَغتَة قد رأوا أخًا

fb/mashro3pdf

لهم كبّلته الغفلة يقتربون منه لعلّه ينتبه الحديث معه دون جدوى يعبثون بملابسه بحثًا عن أى شىء يدل عليه فيجدون بطاقة بها العنوان يتطوع أحدهم بسيارته.

عيناه مفتوحتان على وُسعهما وشفتاه متدلّيتان أصم أبكم حركته شبه معدومة جالس بالمقعد الأمامى وبجاوره سائق السيارة الذي يجاهد محاولًا إخراج صابر من صمته المخيف.

- انت جعان؟

- .....

- عطشان؟ اجيب لك عصير أو مية؟

- .....

- طب انت مش خايف اخطفك مثلًا واوديك عيادة وآخد منك كليتك؟ بتحصل والمصحف

- .....

- مش خايف منى يعنى؟

- .....

fb/mashro3pdf

- شكلك مش خايف أو ماعادش يفرق معاك الخوف يمكن لأنك شوفت الخوف بعنيك وعرفت حقيقته

- .....

- عارف انت فكرتنى بحكايتى وانا صغير كنت بخاف من العصاية بتاعت أمى اوى عشان كانت بتضربنى بيها كنت بخاف من العصاية لدرجة انى كنت بترعب اعدّى من قدام العصاية وهى متعلقة في المطبخ كنت بنضرب كل علقة وعلقة لحد ما الجيران تخبط على باب شقتنا ويترجوا أمى ماتضربنيش.. لحد ما جه يوم صحيت فيه وملقتش أمى في البيت.. دوّرت عليها في كل حتة تحت الكنبة وفى باب التلاجة وطلعت فوق الدولاب يمكن تكون مستخبية في علبة البسكوت فص ملح وداب اتأكدت انها مش موجودة في البيت وبقيت كل يوم اقف في الشباك استناها لدرجة كنت برجع من المدرسة جرى عشان اقف في الشباك عشان أكون أول حد يشوفها وهى راجعة عملت حاجات غلط كتير من اللي كانت أمى بتضربنى عليها شديت فيشة التلفزيون من السلك قطّعت الكتب والكشاكيل بالمقص ورميت الورق على

fb/mashro3pdf

الأرض رسمت بصباع الروج على الحيطان ده أنا حتى اتجرّأت ورميت العصاية بتاعتها ع الأرض يمكن ترجع وتضربنى بيها بس المهم اشوفها.. بكيت بكيت بحرقة قلب مابكيتهاش لما كنت بنضرب بالعصاية بكيت بشحتفة يمكن صوت بكايا يوصل لها وترجع لي.. بعدها ماعادش فاضل لي حاجة اعملها غير انى اقف في الشباك استناها يمكن في يوم ترجع وفضلت على حالى لا بطلت بكا ولا أمى رجعت.. عرفت إن الأهون عليا انضرب بالعصاية أو حتى يجى لي خبر انها غرقت في النيل ولا إن الزمن يشعلقنى في الشباك.. انى اتوجع ولا انتظر.. فهمت حاجة؟

- .....

- طب اسمع دي مرة واحد.. ولا بلاش لتقول عليا غلس

- (اقتربوا من الشارع الموصوف بالبطاقة فيتوقف السائق بسيارته وينظر من الزجاج أملًا في أن يجد من يتعرف على هوية الجالس بجواره) يا أستاذ لو تسمح بس بعد إذنك

fb/mashro3pdf

- أيوة يا باشا تحت أمرك؟

- ألاقي بيت الأستاذ موسى فين؟ أصل معايا ابنه وهو تعبان شوية وعاوز اروّحه

- (بنظرة فاحصة لما بداخل السيارة) أيوة ده صابر خلاص يا باشا أنا عارفه وهوصّله تشكر يا ذوق

- طب تعالى اركب نوديه البيت أصل حالته صعبة ومش بيتكلم

* * *

جسد مُجهَد لروح غائبة.. ملقى بالفراش يوم بأكمله بلا حركة واحدة بلا كلمة واحدة يلِج على استحياء إلى الغرفة المُكركبة المحتويات شعاع نور شمس لاسع يخترق الغبار المبعثر المتلالئ ويرتطم صافعًا وجه صابر تنزعج جفونه الموصّدة ينهض مجبرًا من غيبوبة دامت وكأنها السنين ليجد عظامه متكسّرة يعتدل ليكون جالسًا على حافة سريره يرواده تأنيب الذكريات المرير ينظر لحاله فيدرك نفسه وحيدًا وحيدًا محمّلًا بثأر لبَرِيء ذُبِح أمامه.

fb/mashro3pdf

'يضرمُ الغضبُ نيرَانَه بأحجارِ اليأسِ الراكدةِ فتشتعلُ خالقةً جمرةَ لهيبٍ تحرقُ من يقرَبها'

ثائرٌ معبّأٌ بإرادة لن تنكسر أسفل فراغات الرصاص قرر صابر أن يغير اسمه فلا يصير صابرًا بعد اليوم الدماء طبعت ببصمات على ملابسه المتسخة يده ملطخة بطِين ممزوج بالدم المرآة بها انعكاس لبريق عينيه يقف صابر ليقترب من المرآة ناظرًا إلى انعكاس صورته يلفظ من بين شفاه متشققة ابتلّت بلُعاب الكلمة الأولى لأخرس «دمّك مش هيروح هدر».. يدفع بقدمه باب الغرفة يفتح باب الشقة ويصفعه خلفه مندفعًا إلى الشارع ليس له الا هدفٌ واحد مكانٌ واحد فهو المُشَوَّش بارتياب تام لا يعرف لغة الكلام يتخبطه المشاة فلا يعير لسخطهم انتباه نظرات حادة ثاقبة لغاضْب تتحاشى الاقتراب منه.

* * *

يصعد المترو التحرير مغلق نزل بـ عبد المنعم رياض يخرج من تحت الأرض ليصطدم وجهه بضياء ساطع الشوارع ازدحمت المدرعات انتشرت ألمبانى احترقت الحوائط باحت بالمكتوم عنه (يسقط النظام) لا

fb/mashro3pdf

يكترث بالحاصل حوله من فوضى تدعو للفضول فلا غاية اليه الا أن يجدها يفتش الميدان بحثًا عنها بحثًا عن البقعة التي زهقت بها تلك النفس العزيزة رائحة دمائه التصقت بأنفه إلى نهاية الأجل يقترب من الأرض التي مات فوقها ميشيل ومازالت دماؤه بها لم ينمحى أثرها بعد يغلق صابر عينيه ويخر بركبتيه ويضع كفه الأيمن فوق صدره ويبسط كفه الأيسر فوق أرض تطهرت بالدماء جفونه مطبقة لعلها تمنع سيل دمعه الحارق حلف اليمين بقسم الثوار «بحق دمك اللي سال على الأرض وبحق اليوم اللي فرقنا عن بعض وبحق اللي راح ولا يتعوض.. ما هرجع الا لما حقك يرجع» ينتصب ويرفع يديه بالدعاء يقرأ الفاتحة على روح الشهيد وكل الشهداء يمسك بأطراف أكمام قمصيه المتسخ ويمسح خدّه المُبتلّ محاولًا أن يزيل آثار الوهن الباقى ينظر حول فيكتشف أن المكان قد تبدلت أركانه عن آخر مرة يتذكره بها يختار من بين الناس من ظهرت عليه سمات السلام وبلا تحية يقترب منه وينادى عليه

- كابتن معلش بس عاوز اسالك سؤال

fb/mashro3pdf

- (بارتباك) أيوة.. اتفضل!!

- هو احنا هنعمل إيه دلوقتى عشان نجيب حق اللي ماتوا؟!

fb/mashro3pdf

الحَوارِيّ(*)

انتهت المعركة وخلّفت آثار دمارها بالحى.. جرحى متجاورون مُنتظرين تَضْمِيد الجروح ستائر عملاقة أعمدة خشبية صنعوا خيامًا بأحبال وأوتاد مُلْتَحِمو الأكتاف مرتدون سُترات بيضاء بكُمَّيْن طويليْن أيديهم مَشغولة بلضم الغُرَزٌ يتحدثون أحيانًا بلغة لم تعد بالحيّة تركوا ما يُريح لأجل ما لا يُربح جاء الحبيبان من أجل الوفاء بعهد الأطباء يلتفت لها ويسالها العون

- امسكى دراعه يا ميرفت عشان أعرف أغيّر له على الجرح

(*) إسم كان يطلق على اتباع المسيح وهو الذى أُخلِص واختير ونُقّىَ من كلّ عيب وهو المؤيّد لكل نَبِىّ والحامى لكل رسالة

fb/mashro3pdf

- طب استنّى هجيب لك قُطن وشاش.. معاك مطهّر؟

- أيوة معايا

(الوافدين كُتُر وإستنفدَوا الإسعافات فأكمل الطبيبان بالماء الدافىء والأقمشة لم يعد لوجودهم نفع الا للمُؤَازَرَة)

- هنفضل قاعدين كده يا ميرفت؟ مش هينفع

- هنعمل إيه الأدوية خلصت كلها.. عندك حل؟

- أنا هروح اجيب أدوية من البيت وهعدى على أى صيدلية اشترى النواقص

- الوضع خطر عليك لوحدك ممكن نكلّم الشباب ونعرّفهم باللى احنا محتاجينه وهما يتصرفوا

- انتى عارفة إن محدش هيعرف يجيب الأدوية الا أنا.. احنا دكاتره وده واجبنا

- مش عارفة اقولك إيه..

- ماتقوليش حاجة.. اوعدينى انك هتستنى هنا لغاية ما ارجع وهتخليكى في الأمان

fb/mashro3pdf

- طب وانت هتكون في أمان ازاى؟

- ماتخافيش عليا هرجعلك بسرعة أنا مقدرش ابعد عنك

- ربنا يحفظك ليا

- ويخليكى ليا

أحصى قائمة المتطلبات وترك ميرفت ليكمل مهمة الإنقاذ ذهب مسرعًا كى يعود سريعًا رفضت أن تودعه واكتفت بنظرات السلام اتجهت إلى أحد أركان الخيمة وتكومت على نفسها محتضنةً أرجلها بذراعيها تغمض عينيها مُتوحدة مع السكون تاركة الناس في انشغالهم فقد تحولت إلى السُكُون «سأعتزل الحياة لحين عودتك».

* * *

السؤال المطروح من قبل صابر جعل الشاب يمط شفتيه متعجبًا يبحث عن إجابة مُرضية لذلك العابر فيقتبس من نصوص آيـات الميدان.

- خليك معانا نفضل ايد واحدة نسقط الفساد

fb/mashro3pdf

ونحاكم الجانى

- وانا معاكو وعهد عليا ما امشى من هنا الا لما يتحقق العدل بس إيه الدبابات والجو المكهرب ده؟

- أصل الداخلية وقعت امبارح وانسحبوا فـ الجيش نزل عشان يسيطر على الوضع ما تيجى معايا اعرّفك على اصحابى؟

تخطو أقدامهم نحو البداية بداية تسطير الحكاية.. حكاية من كنا ننعتهم بالخائِبين كررتها الالسنة مرارًا (العيال دول مش نافعين) حسبناهم أعواد قش وجِلين فأعادوا الينا هَيْبَة كنا قد فقدناها قهرًا مجبرين هدموا أسوارًا شائكةً كنا نعبر أمامها مرتعدين كان العيب فينا و كنا عن العيب للبصر غاضّين في الميدان هناك المتكلِم والمستمِع المعارض والمؤيد الكهل والرضيع التافه و الحكيم العالم والجاهل؛ فحتمًا ستجد شبيهك بينهم قطعه منتقاة من أرضٍ ذُكِرت آنفًا بكتب السماء.

- سلامو عليكو.. أحب اقدم لكم أ.... هو انت اسمك إيه صحيح؟

fb/mashro3pdf

- صابر صابر موسى

- (ينحنون برؤوسهم لأداء التحية فيتجه صابر بدوره ليصافح كل منهم).

- احب اعرّفك أدهم خريج علوم وبيدوّر على شغل وده ياسر مدرس عربى أما الصغير ده بقى يا سيدى محمد ناصر بس بنندهله ناصر

- تشرّفنا

- الشرف لينا يا صابر

- بعد إذنك يا صابر احنا هنروح نجيب أكل للناس هنا تيجى معانا؟

- لا أنا هفضل هنا

- وانت يا ناصر؟

- روحوا انتم أنا هستنى مع صابر

* * *

fb/mashro3pdf

يبعثر محتويات أدراج خزانة خشبية ويضع كل ما بها من زجاجات قاتمة اللون في كيس بلاستيكى يكدس محفظته بما استطاع أن يجمعه من أوراق مالية في الصيدلية يشير للصيدلى بإصبعه على علب موضوعة فوق أحد الأرفف جمع الحاجات ولم يتبقى سوى توزيعها على محتاجيها ابتسامة رضا عما أنجزه في وقت وجيز ليعبر من أحد الشوارع القريبة من الميدان حاملًا أكياس سوداء اللون وعندما اقترب من ناصية ذاك الشارع وجد مجموعة مكونة من أربعة شباب رَأوْه فنَادَوْه فاستَوْقفوه.

- استنى هنا يا جنتل انت رايح فين؟ وايه اللي معاك ده؟ أكل؟

- لأ دي أدوية جايبها معايا عشان المصابين اللي جوه

- آآآه أدوية! هو انت دكتور ولا حاجة؟

- ايوة دكتور وممكن اورّيك الكارنيه بتاعى

- (ينظر لزملائه ويضحك باستهزاء) ده بيقولى كارنيه انت فاكرنا واقفين في لجنة؟

fb/mashro3pdf

- لجنة إيه؟! أنا بتكلم معاك عادى

- بتكلمنى عادى كمان لاااا انت لما تكلمنى تضرب تعظيم سلام فاهم؟!

- (نظرات ضيق)

- (يصرخ في وجهه) انت بتبص لي كده ليـــه؟ يلا اضرب تعظيم سلام

- آآآه ده انت فاضى بقى طب ممكن بعد إذنك تعدينى وبعدين نبقى نضرب سلامات لبعض زى ما انت عاوز؟

- مش هتعدى الا لما تضرب تعظيم سلام!

- اللهم طولك يا روح ماتخلينيش أ...

تهشم الزجاج وسَال سائِله.. سقطت الأكياس من يده ليتحطم محتواها من أدوية وطعام وزجاجات مياه لم يُنهِ جملته ليجد نفسه قد هَوَى أرضًا بعد أن تلقى ركلة مباشرة بمشْط القَدَم في أسفل معدته انهالوا عليه ضربًا فقَبعَ أرضًا واضعًا يده فوق رأسه ليتحاشى الضربات قدر استطاعته التفّوا حوله وأخذوا يتراقصون يركلونه

fb/mashro3pdf

بأقدامهم، يدهسونه بأحذيتهم، يسبّونه بالسنتهم ويبصقون عليه الذعر. كتم صرخاته فلَمْ يَتبقّ لَهُ شَيءٌ الا التأوّه يفرغون فوق رأسه ما تبقى من زجاجات أدوية أخدوا أمواله وطعامه وتركوه وحيدًا وحيدًا بين فُتَات بَلُّور وسوائل لزجة وكرامة مبَعْثَرة رفع عينيه ليلمح أطيافًا لأشباح كانت تقف هناك كانوا هناك يتفرجون عليه من تلك النقطة البعيدة ولم يخطر ببالهم إنقاذ ذاك المُسْتَذَلّ اختاروا الاستمتاع بمشاهدة ذلك العرض لم توجعه الكدمات الدامية بالقدر الذي المته به تلك النظرات المُحقِرة تدمع عيناه أَسفًا «لم أجد منكم النجدة وأنا من جائكم بالنجدة».

* * *

ذهبوا وَتَرَكوهُما مَعًا.. كان ناصر طويلًا نحيفًا خمرى اللون كعود قمح يانع عيناه تنظران للكون عبر عدسات زجاجية مستطيلة محاطة بإطار أسود كَرْبونى ترددات حنجرته منخفضة نسخة لصور بشرية متكررة بأيام لا نميزها فننسى أسمائهم جلسا فوق الأرصفة.

- الا قولّى يا ناصر هو إيه اللي نزّلك؟

fb/mashro3pdf

- بتسال ليه السؤال ده؟

- عادى يا سيدى بدردش معاك

- بص هو أنا من زمان وانا نفسى اعمل حاجة تتسجل باسمى.. حاجة كده يكون لها معنى يعيش والناس تفتكرنى بيها بس دايمًا كان اللي حواليا بيتريقوا عليا وكنت الاقى نفسى لوحدى فأعيش زيهم واعمل زى ما بيعملوا وما احاولش اكون مختلف اكون أنا ولما جه اليوم اللي شوفت فيه ناس بتعترض على المفروض علينا وبيطالبوا ان حقوقنا ترجع كانت دي أول مرة في حياتى احسّ إن ممكن فعلًا اكون الإنسان اللي نفسى فيه واقول لأ أنا كمان اقول لأ لكل واحد حبسنى في قالب مش بتاعي اقول لأ لكل حاجة بتحاسب عليها وما اخترتهاش حسيت ان هي دي البلد اللي نفسى اعيش فيها وساعتها قولت لنفسى جالك الوقت اللي ممكن تكتب فيه اسمك يا ناصر

- يـــاه... بس أنا مختلف عنك شويه

- ازاى يعنى؟

fb/mashro3pdf

- أنا نازل اكمل مكان اخويا

- امّال هو فين؟

- استشهد الجمعة

- في الجنة إن شاء الله يارب اكتبها لنا

* * *

ارْتَدَّ المُنْكَسِر عن مَذهبه.. اتجه إلى أقرب منبع مياه واغتسل أزال عن وجهه لزوجَة الدَوَاء لكن لم يداوِ الدَوَاء آثار جراحه عاد للميدان فوجدها كما كانت حيث تركها اقترب منها وجذبها من معصمها فجعلها تقف تالمت من قبضته فأفلتت يدها عنه تنظر له في اسْتعْجاب «ليس أنت من انتظرته» لا يهتم لاستنكارها له ويكرر فعلته فتسحب يدها في ضيق تقترب منه وتمسك يده برفق

- مالك؟ إيه اللي عمل فيك كده؟ وفين الأدوية؟

- مفيش أدوية احنا هنمشى

- نمشى! مالك فيك إيه؟

fb/mashro3pdf

- ماليش بس ماعادش ينفع نقعد هنا تانى عشان المكان فيه بلطجية

- وفيه مصابين وناس عاوزه تتعالج

- يبقوا يروحوا أى مستشفى احنا أصلًا مش هنعرف نعملهم حاجة وكل ده في الفاضى

- في الفاضى! مش كلامك قبل ما تمشى مالك؟

- قلت لك ماليش ويلا بينا عشان نمشى

- طب اهدى ونتكلم وتعرفنى إيه اللي عمل فيك كده؟

- لما نروّح هنتكلم يلا

لم تجد بُدًا الا مطاوعته فلعلّه تَعِب ويرغب في الارتياح يجذبها بقوة من يدها للثالثة فتترك يده وهى منزعجة منه وتمشى بجانبه غير راغبة بمرافقته ابتعدت الأكتاف المُلْتَحِمة.

* * *

fb/mashro3pdf

جائهم الليل بسواده.. تقلصت الحشود من حولهم ولم يبق الا من هم على شَاكِلَتِهِم من فقدوا عزيزًا أو من افتقدوا في الدنيا العزيز من ضُيِّعوا ولم يَدُم لهم بالأرض مُلْكٌ تذكروا ماضٍ أتى بهم إلى حاضر حاضر ضاقت فيه الأنفس بالأمانى.

- كل يوم أسوأ من اللي قبله والأسوأ بتاع بكره هييجى الأسوأ منه بعد بكره مفيش أى شىء في الكون ده يدّى الواحد أمل انه يعيش حتى لما بنعمل حاجات من اللي كانت بتفرحنا زمان بنلاقينا مش حاسّين بيها وبنحزن اكتر اننا فقدنا الإحساس ده ونتمنى اننا ماكناش كبرنا أبدًا ولا حتى اتولدنا

- اكيد هتحزن لأنك بقيت بتتعامل بجسدك بتدور على الخلود في أشياء ميتة

- ما كل الوجود ميت إيه اللي هيفضل حى؟

- الروح يا صابر.. الروح

- الروح ازاى يا ناصر؟

- مش هتقدر تحس بالجمال في الأشياء الا لما

fb/mashro3pdf

تتعامل معاها بروحك يكون قلبك هو اللي بيوجّهك وسابق قرارك وبتعمل الحاجة لأنك حاسس بيها حتى لو كانت ضد المنطق والواقع فرحتك ساعتها بتتحفر جواك بكل تفاصيلها في المكان والناس والريحة بتكون هي الفرحة الأولى والمجردة من أى خطة أو وعى فرحة زمان هي الحقيقة لأنها كانت بدون بحث عن الفرحة كانت الفرحة انك تعيش بحب شىء خيّر وطيّب و برىء

- طب إيه اللي خلّى الفرحة دي تموت؟

- الفرحة مش بتموت احنا اللي بنموت

- بنموت ازاى؟ ما أنا بكلمك اهو!

- بتكلمنى بجسد مش عايش.. الدنيا بطبيعتها فانية الحاجات بتختفى بتبعد بتتلاشى ومع كل حاجة كنت بتحبها واتدفنت جزء من روحك بيموت ويدّفن معاها وكل مدى تموت فيك أشياء وتدّفن وتفضل كده لغاية ما تبقى عايش جسد من غير روح تبقى انت كده حى ولا ميّت؟

fb/mashro3pdf

- ميّت

- إحيى روحك

- أحيى روحى!

- بإنك تحاول تنشر المحبة بدون مقابل بين أرواح مُحيطة بك.. تأكّلها ترعاها تساعدها تحضُنها تبتسم لها امنَح تُمنَح روحك هترجع لك حَبَّة بحَبَّة وهتلاقى نفسك قادر تحس بالفرحة حتى لو معملتش أى شىء

- أحيى روحى من غير ربنا؟

- الله روح الله محبة

- (اكتَفى بالابتسامة)

- شوفت انت دلوقتى بدأت تحيى روحك

- (تذكر ناصر الأم التي يعتصرها القلق وهو لن يحتمل عتابها فقد حان موعد عودتك بنى) هو انت قاعد هنا لإمتى يا صابر؟

- لمّا الناس دي كلها تمشيى

- انت ناوى تبات هنا؟

fb/mashro3pdf

- لا جنب الخيم اللي هناك دى

- لأ قصدى هتنام في الميدان؟

- ماليش مكان غيره لو عاوز تمشى انت عادى

- معلش عشان أمى لوحدها في البيت ومايصحش اسيبها

- ولا يهمك.

- أنا هبقى ارجع بكرة العصر كده إن شاء الله هلاقيك فين؟

- هناك عند الخيم دي

- (يحتضن كل منهم الآخر ليودعه) هجيلك بكرة ومعايا أكل وميّه وبطانية كمان عشان تعرف تتغطى

- يلا انت عشان ما تتأخرش في رعاية الله

لوَّح له بكفه وبين الظلال اختفى.. يمشى صابر متجهًا للخيام فوجدهم يُعِدّون الطعام يقترب على استحياء فيجلس بالقرب منهم يستشعر وجوده أحد الجالسين

- اتفضل مد ايدك شكلك ماكلتش من الصبح

fb/mashro3pdf

- تشكر يا ذوق لسه واكل.

- انت بخيل ولا إيه؟ خد بس ما تتكسفش

- (وكزة خفيفة بالكوع أسفل الصدر تعنى أنه لا بأس ويضع أمام صابر طبق يحوى حفنة أرز عدس معكرونة)

- متشكر

- لما تخلص أكل قول عشان الشاى

التَكِيَّة.. يأخذ ولا أحد يمانع الطلب مذاق حَسَن ينبع من بين أضلاعه مذاق مغموس بقطع الخُبْز المتكسرة فإنها العائلة الكثير يتقاسم القليل مشاعر ثمينة تُتَداول بعملات نادرة «لو عرفوا قيمتك يا ميدان لما تركوا الدخول اليك بالمجان» يبحث عن ركن يحتويه بعد أن تسلم نصيبه من الأغطية على الأرصفة الموحشة ينام مطمئنًا ويغط في سُبات عميق استعدادًا لغد غدًا أخبرونا أنه لن يحدث.

* * *

مطأطىء الرأس شارد الذهن يتابع بنظره خطوات

fb/mashro3pdf

قدميه يديه بجيوب معطفه ضوء القمر الخافت جعل الظلال تتبعه وسط الزحام يمشى بلا صُحْبَة ذروة الأسواق يتعثر فيسقط ينظر خلفه ليرى من هذا المتنمّر فيجده ميشيل ينشرح صدره ويهم واقفًا ليحتضنه يمرر يده عليه ليتفحصه.

- في إيه يا صابر مالك؟ وخف شويه ايدك صعبة يا اخى!
- انت كويس؟ مافيش فيك حاجة؟
- لأ هيكون في إيه يعنى؟ مالك انت؟
- أصل كـ....ولا يهمك المهم انك كويس
- أيوة انت شايف إيه؟
- تمام اهو وزى الفل ولا أكن حصل حـ....
- المُجَاوِرى يا صابر
- حاضر من عنيا الاتنينمش عاوز حاجة تانية؟
- سلام يا صابر.
- استنى هو إيه المجاورى ده؟

fb/mashro3pdf

«قوم اصحى الشمس هاتلسعك ادخل جوه الخيمة»

- (يستفيق من نومه ويتسائل بملامح عابسة) مجاورى إيه ده؟

- (يكشف عن أسنانه ضاحكًا) طب قوم الشمس شكلها كلت دماغك واغسل وشك بشويه الميّه دول الفطار جهز خلاص

* * *

تتناثر حبات الماء في السماء دون أن تهبط لتلامس التراب عاد صابر للنقطة التي اتّفقا أن ينتظره عندهاعدة دقائق ويجد ناصر قادمًا وتظهر عليه علامات الإجهاد مُقبلًا نحوه شاقًا للطريق بينهما.

- اتأخرت عليك يا صابر؟ معلش أصل المكان زى ما انت شايف

- لا انت ولا اتأخرت ولا حاجة وايه اللي في ايدك ده؟

- هو أنا هسيبك كده من امبارح من غير أكل ولا ميّه؟

fb/mashro3pdf

- مش عارف اقولك إيه بس أنا كلت الحمد لله

- مش مهم خليهم معاك بعدين تحتاجهم

* * *

ارتفع سقف الطموحات وازدادت الأمور تحديًا لمطالب باتت أوامر أعد الرئيس لتلك اللحظة خطابًا وقام بالقائه عن طريق ما يدعى بالبث المباشر «أتحدث اليكم في أوقات صعبة تمتحن مصر وشعبها وتكاد أن تنجرف بها وبهم إلى المجهول.. تحولت تلك التظاهرات من مظهر راقٍ ومتحضر لممارسة حرية الرأى والتعبير إلى مواجهات مؤسفة تحركها وتهيمن عليها قوىً سياسية.. لقد بادرت بتشكيل حكومة جديدة بأولويات وتكليفات جديدة تتجاوب مع مطالب شبابنا ورسالتهم وكلفت نائب رئيس الجمهورية بالحوار مع كافة القوى السياسية.. إننى لم أكن يوما طالب سلطة أو جاه ويعلم الشعب الظروف العصيبة التي تحملت فيها المسؤولية وما قدمته لوطنى حربًا وسلامًا .. إن هذا الوطن العزيز هو وطنى مثلما هو وطن كل مصرى ومصرية فيه عشت وحاربت من أجله ودافعت عن أرضه وسيادته ومصالحه وعلى

fb/mashro3pdf

أرضه أموت وسيحكم التاريخ عليّ وعلى غيري بما لنا أو علينا» ينغلق المذياع فتنة الكلمة أحدثت ما لم تقدر عليه شرارة المِدْفع شُق الميدان نصفين تبَدَّدَ الصوت الواحد.

لقد أظهر بادِرَة خَيْر فلنعطِهِ فرصة.

لكنه مخادع وما أكثر وعوده الكاذبة!

الوعود حدثت الم تسمعوا ما قال؟ ولو خاننا فسنعود لميداننا!

لا لنْ نَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى نرى العدالة لنسترد الكرامة ولنستنشق الحرية.

الا تعقلون؟! كفانا فوضى ودماءً! هل الموت هو مرادكم؟ كل ما طالبنا به يُنَفّذ وكل ما أردناه يتحقق فلقد استبدل الحكومة ولن يترشح للرئاسة وسيُخرِج الفاسدين من البرلمان وجعل له نائبًا عن منصبه اليس هذا بكاف لكم؟

أَمْعنوا البَصَر فهو لم يُجِب مطلبنا بإسقاط نظام هو رأسه وتلك أوراقه المحترقة القاها الينا لنرضَى بما يريد مقاصدنا مُعَلقة وواضحة كالشمس.

fb/mashro3pdf

فليكن الرب في عونكم ويعيدكم إلى رشدكم سنترك لكم الميدان فأنتم تحاربون بمعركة لا نعرف لها نهاية

لكم ما شئتم فإنَّكُمْ رَضِيتُمْ بالوهم أما نحن فلا نَبْتَغى الا الحق مرادًا...

* * *

صابر ساخطًا «ماذا أجنى من هذا الهراء؟ أين حرمة الدم وأين ما جئت لأجله؟ لِمَ تجاهل الشهداء؟ لن أخرج الا منتصرًا أو محمولًا» ذرات الرمال تنساب عبر بلورة لساعة رملية مع كل دقيقة تنقضى يتناقص معها الحضور تهبط بهم العزيمة يغادر المقتنعون الميدان ينزف ناصر مؤيدًا للمُغَادَرَة «وإن جنحوا للسلم والميدان أصبح مِلكنا ولن يمنعنا أحد بعد اليوم فيكفينا أننا حطمنا قيود السكوت عن الظلم».

- هتعمل إيه يا صابر؟ خلاص الراجل بيتكلم كويس وبكرة نشوف ولو كذب نرجع تانى

- نرجع فين!! لو مشينا نبقى ضيعنا كل حاجة وبعدين هو ماجابش ليه سيرة الشهدا؟ يا يتحاكم الجانى يا اموت ويدفنونى

fb/mashro3pdf

- تموت إيه بس تعالى معايا نروّح.. عجباك نومتك في الشارع دي؟

- مش هسيب مكانى يا ناصر مش هسيب مكانى

- خلاص أنا هسيبك على راحتك وإن شاء الله بكرة يعدى على خير وربنا يهديك

- ماتزعلش منى بس ده عهد عليا

صابر مستاء من رؤية الحق يُسلَب مقابل وعد زائف وناصر راضٍ بما حققه ويستبشر بالغد خيرًا على أحد مداخل الميدان يتصافحان بسلام الوداع ينطلق كل في طريقه صابر عائد ناصر مغادر يستديران فيعطى كل منهما ظهره للآخر مبتعدًا عن بعضهما لا يدريان أن الغدر قد رفع خنجره ليطعنهما أملًا في القضاء عليهما فغدًا سيظْهرُ الوجه الدَميمُ للسياسى.

* * *

وَدَّعَ المُتحابّان أَحَدهما الآخَر.. لمْ يرافقها إلى شارعها كما اعتادته مُسْتَكْفيًا بإشارة يد من بعيد ليشاهدها تقترب من بيتها ارْتعَب من مُخَيِّلة أنه إذا أصابها مكروه فلن

fb/mashro3pdf

يَحمِيها وسيكتفى بالمُشَاهَدَة لا يعرف هل صار جَبانًا أم كان جَبانًا ولم يكن يدْرى؟ وهى أكانت منزعجة من غِلْظَة قبضته لِعْصمها أم من غرابة هَجره ودَوام صمته؟ هل تلك هي نُبُوءَةُ افْتِراق أم مجرد حكة أنف وستزول؟

* * *

fb/mashro3pdf

وهي أكانت منزعجة من غِلظة قبضته لِمَضِّها أم من غرابة هجره ودَوْمَ صمته

fb/mashro3pdf

«هذا وقد خرج العديد من مؤيدى السيد الرئيس حاملين الأعلام واللافتات معبرين عن حبهم وتأييدهم ويتجه الكثير منهم إلى ميدان التحرير الذي يتواجد به عناصر مندســ» يطفئ التلفاز غصبًا مما سمع ويلعن الرئيس والمرؤوسين «إن وَلَدى لم يعُد بعد، جارنا تم اغتياله بحضرتكم بيننا من قَضَى نَحْبَهُ وَمن يَنتَظِرُ فالى متى المُكَابَرَة وكأننا عبيدكم!»

تراه عابسًا فلا تترك اللحظة تعبر خالية فتُعلّق بطيبة.

- حرام عليهم اللي بيعملوه ده! مش كفاية الشباب اللي مات يوم الجمعة لأ وكمان طلع بخطاب محدش فهم منه حاجة

- هو مِتبّت في مكانه ومش عارف إن نهايته قربت

- بس هتخلص على خير إن شاء الله

- مش هتلخص أبدًا ده دم يا أم صابر دم

- إن شاء الله خير وربك قادر على كل شىء

- يا رب

fb/mashro3pdf

- طب افتح لنا التلفزيون نشوف إيه اللي حصل وهات قناة الأخبار

- (ضغط الأزرار بعصبية) كلهم بيكذبوا أهو يا ستى يعنى هيجيبوا إيه وبعـــ.....

ذهول الصدمة يُخرس السنتهم.. مشهد مواجهة بين جيشين يتراشقان بالحجارة ويخترق أحد تلك الصفوف الجمال والأحصنة حاملين السيوف و الشُّوم المذيع بالتلفاز «مواجهات بين مؤيدى مبارك ومعارضيه تسفر عن سقوط العشرات من الجرحى والمصابين مع عدم الإمكانية لإسعافـــ...» القلق يُحكِم قبضته على قلبه (ربنا معاك يا ابنى وإن شاء الله منصورين).

* * *

زار مؤنِسَة وحشته وابنة جيرانه.. ما لحق به من الم كان أقسى من أن يحتمله وحيدًا فالنسيان ليس بدواء النفوس المنكسرة أراد ان يستحضر رجولته بين أيدى محبوبته جائها ليجالسها ففاجأته مرتدية ثياب الخروج مستعدة للنزول معتقدةً إنه جاء ليصطحبها معه كما

fb/mashro3pdf

كانوا بالأمس.

- انتى لابسة ليه يا ميرفت؟ رايحة فين؟

- لابسة عشان هننزل سوا الميدان زى ما كنا اتفقنا انت مش هتيجى معايا؟

- أنا مش هنزل الميدان ولا انتى كمان نازلة

- يعنى إيه الكلام ده؟

- يعنى محدش فينا هيروح المكان ده تانى واتفضلى غيرى هدومك عشان مفيش نزول كفاية اللي حصل امبارح

- ايوة بقى أنا عاوزة اعرف إيه اللي حصل امبارح؟

- قلت لك هحكى لك بعدين اسمعى الكلام وغيّرى هدومك يا ميرفت مفيش نزول

- لأ هنزل وانت مش هتمنعنى من حاجة أنا عاوزة اعملها لمجرد انها رغبتك وبس فهّمنى فيه إيه؟

- هنعيد في الكلام ده تانى يا ميرفت يا حبيبتى

fb/mashro3pdf

أنا خطيبك وليا حق عليكى بحكم علاقتنا وانا شايف مصلحتك انك تفضلى في البيت والمفروض تكونى جنبى في الوقت اللي بكون محتاجك فيه مش تسيبينى وتنزلى هو عناد وخلاص؟!

- اكون جنبك لما تكون محتاج لي فعلًا إنما انت عاوزنى جنبك عشان مش قادر تعمل اللي أنا بعمله مش قادر تواجه مشكلتك اللي منعاك من النزول وتكمل معايا في اللي احنا حقيقى عاوزينه أنا معرفش حصل لك إيه امبارح بس انت للأسف بتواجه مخاوفك بالهروب عشان تقنع نفسك انك صح وعشان كده عاوزنى معاك واشجعك على اللي انت بتعمله وماتبقاش لوحدك لكن أنا لو اخترت اقعد جنبك هكون بخسرك وبضحك عليك انزل معايا وماتخافش!

- فلسفة فارغة.. الميدان فيه مجرمين ضربونى وسرقوا فلوسى وكسروا الأدوية اللي كنت جايبها لكن اللي كسرنى بجد إن الناس وقفوا يتفرجوا عليا ومحدش ساعدنى يبقى اساعدهم ليه وهما في أول وقعة ليا اتخلّوا عنى؟ مش هكون وسط خونة وجبناء ومش هسامح

fb/mashro3pdf

نفسى لو حصلك مكروه وما قدرتش احميكى

- اللي انت بتعمله دلوقتى مايفرقش أى حاجة عن الناس اللي انت قلت عليهم جبناء لأنك اتخاليت عن محتاج لك في وقت محنته بفعلك ده هتكون نسخة منهم ولو العكس كنت هتقف تتفرج عليا وانا بتضرب وهتسكت إنزل معايا عشان تثبت لنفسك انك مش زيهم وانك بتعمل الصواب حتى لو موقفك ضعيف

- واحنا حاولنا نعمل الصواب والصواب خذلنا يبقى نجرب مرة واحدة اللي احنا فاكرينه غلط يمكن يكون هو ده الصواب.

- الصواب والغلط واضحين وانا اخترت اكمل للنهاية (تتركه وتتجه ناحية باب الشقة)

- لو خرجتى من الباب ده يا ميرفت يبقى خرجتى من حياتى.. اختارى!

- حياتك للجبناء وانا مش جبانة

لا تُبالى.. تَخَطَّته المُتَمَرِّدة وعيناه مذهولتان «أهذه حقًا من وَهَبتها أيام عمرى؟!»

fb/mashro3pdf

يعكس بريق عينيه صورتها وهى تفتح الباب وتخرج حقًا تخرج وهى تعلم إنها كسرت أنفه و حَطمت قلبه وعصفت بعواطفه لكنها فعلت ذلك وهى متمنّيةً ما يُستَبعَد حُدوثه أن يعود اليها وأن يختار رفقتها كما كانا ولا يجعل للفراق منفذًا اليهم الا يقدر على وحشتها فينادى عليها أن تعود وستعود لحظات ولم يحدث شيئًا مما جال بخاطرها نظرت على إصبعها إلى دِبلة تركت أثرها على جلدها «لو أحبنى لكان معى الآن» تَرَقْرق الدّمع في العَيْنِ لأجل وَداع جاء بلا دَعْوَة.

* * *

fb/mashro3pdf

يعكس بريق عينيه صورتها وهي تفتح الباب وتخرج حقًا

fb/mashro3pdf

عَرَقٌ يتَصَبَّب بغَزَارَة عَفْرُ الأتربة يحجب الرؤية الهواء مُعَبّأٌ برائحة الدماء الرِئات ترتجّ بشهيق متقطع الآذان تكاد تصم من ذاك النواح المتواصل أصابهم الهلع ليركضوا مشوّشين يحملان أحد المصابين بحثًا عن مكان يحتمون به وأملًا في إيجاد المسعف يضع صابر يده على رأس المصاب ليوقف النزيف.

- (ينبهه) بالراحة يا صابر خف ايدك عن راس الراجل انت بتضغط بطريقة غبية

- (يصيح وهو يرتجف) ما انت مش شايف هو بينزف جامد ازاى؟ بص سيبه معايا ودوّر على دكتور في الخيام اللي هناك

صابر يحتضن المصاب بين ذراعيه باضطراب شديد ينزع قميصه ويمزقه صانعًا منه رباطة يلفها بعناية حول رأس المصاب (لَمْ يَنسَ) ترك قطعة ممزقة تحمل دم الصديق ويضعها في جيبه ناصر عاد مسرعًا بصحبة طبيب الإغاثة معطف أبيض معلق عليه ورقة مكتوبة عليها بخيط اليد (دكتور) دَنا الطبيب إلى المصاب.

fb/mashro3pdf

- هو ده يا دكتور.

- (نظر لصابر آمِرًا إياه) فك الرباط عشان اشوف الجرح

- فك الرباط يا صابر

- (يتفحص الطبيب الجرح) الحمد لله الجرح سطحى

- طيب خليك هنا معاهم يا ناصر وانا هروح اشوف إذا كان في حد تانى اتعور ولا لأ

عاد للمَوْقِعَة.. تتصارع بداخله مشاعر متضاربة بين غضب من المعتدين وخوف على المعتصمين بين سعادة لرُجُوع ناصر وحزن لسيل الدماء يقترب من أحد الأزقة المجاورة من أحداث المواجهة أمأساة متناسخة فجماعتين متقابلتين متماثلتين كأنهم انعكاس بالمرايا لنفس الأَنفس كلهم مغلوب على أمره لو فَتَّشت بينهم لوجدتهم صابر أَجْمَعِين ولكن تم التفريق بينهم تحت مسميات وضعها المُحتال (مؤيد - معارض) بسحر المكيدة تبدلت الأسماء إلى اسمه ونسوا الوان العلَم الذي يرفعه كلاهما اختلط

fb/mashro3pdf

العَذُب بالمالح سحقًا لكل إنسان تتصارع لأجله «صنعتم منا مجرمين ونُحاكَم على جرائمكم تحشدوننا لمعركة لسنا بطرف فيها تتلاعبون بنا وكأننا الدمى وأيديكم القذرة ملطخة بدمائنا».

قاتِل أو مقتول «أَصمُد لبقاء ميدانى كى لا يضيع حقى أو أَنْكَسِر ليخمدوا أنفاسى ويختفى صوتى الاستسلام انتحار آسف أنا وطنىّ لم تترك لي اختيارًا أجبرتنى مرغمًا على نزَالك وجعلتنى غَرِيمك دون إرادتى فيا لَيْتَ هنالك غير ذاك سبيل»

يلتقط صابر أحد الأحجار ويقذفه عاليًا متمنيًا أن يخطئ الحجر والا يُصيب يبحث حوله عن غطاء يحتمى به من مطر الحجارة ينادى عليه أحد حاملى القطع الخشبية.

- تعالى هنا انت رايح فين؟

- بدور على حاجة أحمى نفسى بيها

- (يتقدم أمامه) أنا همسك الخشبة دي وانت ترمى طوب من ورايا فهمت قصدى إيه؟

- بس ما تمشيش بسرعة

fb/mashro3pdf

وضعوا خطة لمواجهة هجوم متدافع استمروا على وضعهم تارة للأمام وأُخْرَى يتراجعون للخلف لمْ تكفِ الحجارة لهزيمتهم لدى الآخرين خطط بديلة تنشق الصفوف من أمامهم فيخرج فارس يمتطى فرسًا ينعكس لمعان سيفه بأعينهم يراه قادمًا فيلتفت لصاحب الدرع محذرًا.

- خلّى بالك في حصان جاى عليك!

- بتقول إيه؟! تعالى هنا تحت الخشبة عشان مافيش حاجة تيجى فيك

- (يصرخ) ابعد مـــ....

منع الكلام.. تتضارب دقات قلبه كرقع الطبول شعيرات يده انتصبت الحصان يعدو مسرعًا تاركًا الهواء يموج بين شعر رأسه يجتاز الحواجز كى يصل يُروِّض الحصان مُتَهَوِّرًا يَبْتَغِى قتل أحدهم كَمَا اتَّفَقَ دُونَ تَفْكِير وَلا رَوِيَّة عقل صابر يستحضر الذكرى «إنها هي التي دهست الصديق».. التفكير غلطة يركض نحو الرجل صاحب الدرع ويدفعه من أمام الحصان فيزيحه من غفلة

fb/mashro3pdf

القرار وينقذه من قدر محتوم مصدوم على الأرض بأعين منبهرة ينظر إلى صابر برهبة ترك الفَزَع أثره على ملامحه تسربت المعانى من بين يديه فَصَار أبكم التَعَابِير.

سقط الفارس من فوق فرسه ركضوا نحوه وانهالوا عليه ضربًا لعقابه تركهم صابر لصراعهم واتجه للسيف السيف الذي سقط من يد حامله ينحنى ويلتقطه ثم يلتفت وراءه ويتجه إلى الناجى صاحب الدرع يُهديه السيف الذي كان سيُطعن به وقد منحه الفرصة المُحَالة يقرأ الرجل ما تبوح به أَعْيُن صابر ويهمّ واقفًا بعد أن أخذ السيف يشير له صابر بإصبعه ليدلّه على من أراد بهم السوء المُذنِب محاصر واضعًا يده فوق رأسه كى يتّقى شر عقابهم المبرح ينتشله صاحب الدرع من بين أيديهم كقطعة قماش مبللة يرفع السيف عاليًا فيبتعد الكل من حوله في لحظة وجِلة من المحيطين به لرؤية الحكم يُنَفّذ لأسير القدر.

دَان فدَائِنٌ فدَيَّان .. قاعة المحكمة نُصبت بلا عَمَد السيف مازال مرفوعًا والرقاب تتابعه متأهبين وفى أعينهم انعكاس انقلاب الأقدار فإنه الحكم الذي نَاشَدوه

fb/mashro3pdf

ولم يقرَبوه «ما هذا؟ ماذا فعلت؟» يلقى صاحب الدرع السيف بعيدًا.

- قوم اقف انت فاكرنى هقتلك؟ ده درس لك عشان تتوب.. ربنا غفور رحيم وكتب لك عمر لو حد غيرى كان قطع رقبتك

جاحظى الأعين مشَرَّعَى الأفواه.. حُكْم البراءة لم يكن بالحسبان لكنّ القاضى هو رب قانونه فلا يملكون حق الاعتراض على قرار هو سيده الا مُتَمَرِّد عَلَى النَّاس رافعًا صوته مناديًا بالعدل الذي أراده وانتظر أن يشهده فالعفو يا سيدى ليس شأنك وحدك.

- انت فاكر نفسك مين يعنى عشان تسيبه؟ ده ولا له قيمة ولو مات محدش هيبكى عليه وتلاقيه قابض عشان يقتلنا لو انت كنت مكانه ماكانش هيرحمك

- (يلتفت له) السيف عندك على الأرض لو عاوز تنتقم انزل خده بإيدك واعمل اللي انت عاوزه واوعدك محدش هيعارضك من كل الواقفين وأولهم أنا

أَنْهى الجدال فالدماء لعنة والأرواح ليست بالهيّنة يأخذ

fb/mashro3pdf

الحَاكِمُ بيد المَحكوم ويطلق سراحه يمشي محاولًا الاختباء خافيًا نفسه بين الحشود تَوَارَى عن القَوْمِ غير واعٍ للحاصل فقد تأجّل ميعاده لحين آخر.

* * *

رَقِيبٌ عَتِيد.. كان واقفًا هناك بين الحطام ممسكًا بعصاه مداعبًا جَدَائِل لِحْيَته لم يترك لبَصره أن يَحِيد عن صابر عيناه تبوح بلَهْفَة وكأنما وَقَعَ بصَبابَته فلاَ يتبَيَّن الصَّبَابَةَ الاَّ مَنْ يُكَابِدُهَا عند انقضاء الناس ترك مَقَامه واتجه لمن كان يَرقُبه وبحث عنه ترك صابر المعركة لجنودها وابتعد لكنه ظل بالقرب منهم كان شيخنا يقف بالناحية المقابلة لصابر ونظر في عينيه إلى أن أحس به صابر وبادله النَظَرَات ارتعد صابر من هيئته العجيبة ونظراته الثاقِبة تَأَنّى المَلَكُوتُ بهما وترك ما للنَّاس للنَّاس تتشَّقَق شَفَتَا شيخنا لتبوح بكلمات لا سَامِعَ لها الا أُذن صابر «يا من هو مَحَلّ ناظريّ وهو المُسْتَمِع لندائي.. يا من حَسِبَنى أتيتُه سَائِرًا على قدميّ وأنا المُعَلّق في مخالب الطير تحُطّنى إلى ما شَاءَ العلِيمُ مَقْصده جئتك بما نَبَّأنى الخَبِيرُ بمَكْنُونه وعن سؤالك مُجِيبٌ بما تَهَادَى لبَالك من أسراره فلا شأن لك

fb/mashro3pdf

بعالمى فالمَوْهُومُ وَهْمُه الوَهْمُ كالسَابِح ببحر الفكر غَرْقان فبالجواب آتيتُك وبالخَلاَص أَتَيتنى فإنهُ لأنا المُجَاوِرىّ وإِنَّكَ لَأَنْتَ النِبْرَاسىّ».

خَرَقَ الكلِم روح صابر ولبثت السَكِينَة في جسده طرفت العين فاخْتَفَى المجاورى استفاق صابر من سُباته ونظر حوله فلم يجد لأثر الشيخ وجود جرى من حيث رأى الشيخ فلم يجد لقدمه موضع أثر ولا لظله مُتَبيَّن تَلَبَّثَ بِمَكانِه وأَوْصَدَ أُذنه بكفّه عمّا سمع محاولًا استعادة الرسالة.

* * *

fb/mashro3pdf

فالجَواب أتيتك والخلاصُ أتيتني ،فانهُ لانَا السُجاوِرُي وإنّك لأنتَ النِبْرَاسُي

fb/mashro3pdf

ناصر جالس بجوار المصاب بأحد الخيام بعد أن قام الطبيب بتقطيب جرحه لا إمكانيات للعلاج ولكن يظل الإصرار وحده سر الشفاء المصاب يرقد ممددًا على الأرض رأسه على ساق ناصر تتفتح عين المصاب شيئًا فشيئًا.

(بصوت منخفض) أنا فين؟

- انت في المستشفى الميدانى عشان اتصبت بس ربنا حماك والحمد لله انت كويس .

- إيه اللي جابنى هنا وانت مين؟

- احنا لاقيناك واقع على الأرض وجنباك هنا عشان تتعالج وانت ممكن تقولى ناصر

اسْتَعادَته الغيبوبة.. ناصر يدرك أنه ما هي الا لحظات وسيستفيق المصاب يضع كومة من قماش تحت رأس المصاب ويسبقه للتنقيب عن ماء وطعام لجأ لمن وجد عندهم الإِغَاثَة ليرشدوه إلى مكان بعض اللقيمات وزجاجة بها بعض قطرات نت المياه يعود ويجد أن المصاب قد أفاق على غير المتوقع.

fb/mashro3pdf

- انت إيه اللي صحاك دلوقتى؟ المفروض تنام شوية

- انت مين وبعدين انت مالك اقوم ولا لأ انت هتصاحبنى؟

- انت لحقت تنسى أنا اللي جبتلك الدكتور عشان الرباط اللي في دماغك ده

- طيب مافيش مية هنا؟ أنا عطشان

اتفضل المية وجبت لك أكل هما شويه صغيرين بس اللي عرفت اجيبهم

(ينظر للزجاجة الصغيرة باشمئزاز) هي صغيرة اوى كده ليه! مش مشكلة أحسن من مافيش انت اسمك إيه؟

- ناصر وبعدين انت المفروض تستريح دلوقتى

- ماشوفتش علاء كان معايا برضو هتلاقيه كان لابس قميص اسود

- لأ ماشوفتش الا انت بس معلش المكان كان

fb/mashro3pdf

زحمة ومعرفناش نطلّع حد الا انت

شرب الماء وأكل الخبز وناصر متضايق من فظاظته ولكن يسامحه «إنه يمتلك العذر لن أتركه وسأظل بجانبه إلى أن يتعافى».

- انت شبعت ولا اجيب لك تانى يا...؟

- سالم.. ومتشكر مش عاوز حاجة

- طب لو احتجت حاجة أنا جنبك هنا قدام الخيم دي ومش همشى

- طيب

يخرج ناصر من الخيمة يجلس سالم ويستلقى على الأرض ينظر حوله في ضيق ويشرد بذهنه «ما الذي جاء بى إلى هنا؟ هذا ما نناله من اتباع الحمقى ندبة بالرأس كنت أتصوّر أن الأمر سينتهى اليوم وسيُفَض الميدان وتعود الحياة لسابق عهدها نزلت حسب رغبة صديقى الذي أراد منى أن أقنعهم بالمغادرة وكى يعلموا إنهم ليسوا بمفردهم من يمتلكون القرار فلنا رأى لابد أن يُسمع ليس من المفترض أن يستمر الوضع أكثر من ذلك فقد

fb/mashro3pdf

ساءت أحوالى وتوقفت سبل معيشتى الدولة يحكمها القانون وبالقانون وحده تُرَد الحقوق ظَفرنا بوعد إذن فلِمَ العناد؟!».

* * *

استعادوا الأرض.. يقل العدد الذي يواجههم إلى أن يستسلم ويتفرّق لا فائدة من التواجد يتذكر حينها العودة لناصر يقترب من الخيام ويرى ناصر بالمكان الذي تركه به.

- انت اتأخرت اوى ليه كده؟

- أصل انت ماشوفتش اللي أنا شوفته المهم الشاب المتعورعامل إيه؟

- اتحسن بسرعة الحمد لله

- طب الحمد لله هو فين دلوقتى؟

- جوه الخيم تلاقيه نايم ولا حاجة

أطلّ القمر بظلاله الباهتة.. يجلسان متقاربيْن صابر يرتكز براحة يده فوق خدّه حاضر بروح غائبة ناصر يخلع

fb/mashro3pdf

نظارته ويستند إلى الرصيف يتأمل النجوم مناديًا غدٍ يعُمّ فيه الأرض السلام الأول يحاول استيعاب رسائل الغيب والآخر يتوجه بقلبه إلى الله متمنيًا أن يستيقظ على حلم مازال يراوده تمثالان من الجرانيت يخرج سالم من الخيمة.

- انت لسه قاعد يا ناصر؟ أنا كنت خايف انك تمشى

- (يبتسم له) لأ ماتخافش أنا وعدتك انى مش هسيبك

- معلش ملاقيش معاك سيجارة أصل دماغى مصدعة

- لا مش معايا انت معاك يا صابر؟

- لأ مابدخّنش استنى هشوفلك مع الراجل اللي هناك ده

- معلش هتعبك معايا

- (ذهب صابر سائلًا عن سجائر سالم قلق فقد أضاع صديقه) ناصر انت مالقيتش الشاب اللي كلمتك عنه؟

fb/mashro3pdf

يتوجه بقلبه إلى الله متمنيًا أن يستيقظ على حلم ما زال يراوده

fb/mashro3pdf

- شاب مين؟

- اللي لابس قميص اسود علاء

- لأ

- أنا قلقان وعاوز ادوّر عليه هو كان معايا آخر مرة عند الكوبرى كده

- طيب صابر ييجى وهنروح ندوّر عليه ما تقلقش

- (عاد صابر بالسجائر وكبريت وجده مع أحدهم يأخذ سالم منه العلب) متشكر

- (بعيون راجية) صابر.. عاوزين نروح ندوّر على صاحب سالم عند الكوبرى

- سالم مين؟! ونروح فين دلوقتى في أم الجو ابن الـ×× ده؟! انت مجنون!

- سالم ده يا أخى وبعدين مش هيحصل لنا حاجة الا اللي ربنا كاتبها احْيى روح يا صابر انت نسيت كلامنا ولا إيه؟

fb/mashro3pdf

- لا مانسيتش ماشى بس نفضل مع بعض مش كل شوية هندوّر على حد فينا

أخذ صابر يمينهم وسالم يسارهم وتوسطهم الحَوارِىّ.. انطلقوا بحثًا عن أملٍ تَائِه برغم ضعف الاحتمال تظل المحاولة أقوى احتمالٍ قاوموا ظرفًا يمنعهم من مجرد الاعتقاد بالفكرة فكرة النَجَاة «لم نعد نخشى شيئًا فليس هنالك ما هو أسوأ» صابر يستخف بالمحنة ويروى لهم طُرْفَة يضحكون بالوان زاهية تبهِج تلك اللَّوْحَة الكئيبة المحيطة بهم لتظل الحياة تحمل ما هو مُسْتَبْعَد اقتربوا من الكوبرى يشير سالم للأعلى لعلهم يجدون علاء هناك.

- انت شكلك هتتعبنا معاك تلاقيه في بيتهم من زمان هو هيستنى ليه!

- أهو ندوّر انت وراك حاجة وبعدين انت مش لوحدك أنا وناصر معاك.

- هاهاها أول مرة اضحك من ساعة ما نزلت انت بتتكلم ولا كإن في مصايب حوالينا خالص يا صابر.

fb/mashro3pdf

- انت لسه فاكر تكمل ضحك؟ حاجة وجت في دماغى قولت احكيهالكم.. غلطان أنا!

- لأ مـ.....

السّكْتَة الفُجَائيّة .. يرتطم إطار النظارة الهش بالأسفلت القاسى فتتهشم متكسرة يصمت ناصر لتصمت من بعده الحيـاة «لِمَ توقفت عن الضحك يا ناصر؟» يتلفت صابر وراءه يرى سالم وكأن البَرْق قد صَعَقَهُ ليتجمَد الدَّمُ في عروقه أنامله ترتجف بشدة، اللُّعَابُ يسيل من فمه انتفخ وَرِيدُ جبينه أَبْصَرَ جحيم النُّشُورِ حيًا ناصر مُلْقَىً عَلَى الأَرْضِ وتتدفق الدماء من رأسه أشلاء جمجمته نراها بوضوح لم تَتَسَنَّ له فرصة مُوَاجَهةٍ أو هُرُوب لفظُ النّفَس الأَخِير وعيناه ترسلان اليهم تحيَّات الوَدَاع سَقَط ناصر ليسقط معه كل ما تبقى من براءة اغْتِيل برصاصة كان مُستَقَرّها بين عينيه عيْنىْ قَتِيل لم يبصر قاتلَه سَقَط ناصر لتسقط معه كل ذرة محبة بقلب سالم الذي قد أَبْصَرَ جانبًا من روح ناصر الطَّيّبة جانبًا كان كَفِيلًا بأن يضيء ظلامًا مَقيتًا «من ذا الذي سايَرَ النَّفْس الخَبِيثة واتَّخَذَ من شيْطانه إِمَامًا؟ لِمَ كل هذا العدوان الدَامِى؟ ما هي

fb/mashro3pdf

الجريمة التي تستوجب مثل هذا العقاب؟!».

صابر ضائع المضمون عيونه تملئها الحسرة خاوىَ الأحاسيس يرجو إخماد الأنين بداخله «إلى متى سأظلّ أرى أحبّاء يتساقطون؟ أسأظل هكذا لا أنقذ روحًا ولا أَكُفَّ الأذى عنها؟ فقط أجمع أشلاءً وأحمل جثثًا وأشيّع جنازات؟ كم يحتاجون من أرواح يحصدونها كى يتيقّنوا إننى لن أستسلم؟ كم يريدون من دماء يسفكونها كى أحلف بها إننى لن أركع؟ لن أرضى بما يَشَاؤون لم أعد كما كنت قبلًا بتُّ شبَحًا غَيْرَ جَلِيٍّ اليكم كل جميل بداخلى انْمَحَى ولم يتبقّ لي ما أَبْكى من أجله».

يتَخَبَّطهم الفزع كأمواج بحر هائج.. محاولين التَوارى عن منظار القناص الذي يحصد أرواحًا تلوَ الأخرى كما لو كانت أجسادهم ليست سوى دُمىً وكما لو كانت حياتهم مجرد لعْبة فيا لهم من أهداف سهلة أمام ذاك المُختَبِئ وَراء منظار سلاحه معتقدًا إنه قد صَارَ بمثابة اله وبيده أن يعفو أو يُمِيت اقتُل اقتُل أيها السَّوَّاطىّ فحَتْمًا مصيرك الالقاءُ بحفرة لا قاع لها.

ينتشل صابر جثمان ناصر ويحمله بين ذراعيه لا علم له

fb/mashro3pdf

من أين تأتيه القوة ليحمل هذا الجسد الميت ليعدو به يهْرِول سالم بجوارهم في محاولة منهم للوصول لغطاء يحميهم يقترب الشباب من صابر كى يساعدوه في حمل جثمان ناصر لكنه يرفض في غضب يكمل الطريق إلى أن يدخل أحد الخيام يضع صابر جثة الرفيق برفق يتركه وهو في هَوَانٍ شديد لم تمر فترة كافية ليطيب جرح قلب المسكين المصائب أشد من الصبر لتسقط آخر قطرات الأَسَى ويجفَّ من بعدها الدمع.

يصمد صابر من أجل أن يظل حارسًا للأمانة أمانة جسد الشهيد مازال سالم معهم يأمرهم الطبيب أن يغادروا لأن المكان لا يحتمل تواجد أحد يصر صابر على البقاء.

fb/mashro3pdf

السَّوَّاطِيّ(*)

سَلِم سَالِمٌ من السَّوَّاطيّ.. وبعد أمر الطبيب وجد حاله مَطرودًا لا يعرف أين المُتَّجَه رأسه مزدحم بأصوات صَاخبَة عينيه زَاخرة بدمع امْتَزَجَ بالدم «منذ متى والقَتْل هَيِّن وَهو عِنْدَ الحَسِيب جَسِيمًا؟ أتلك هي وصيتك يا آدم التي وَرثناها عنك؟ إِذَنْ فلْيَنطفئ نورُك يا سماء ولْتُلجَّم وُحُوشك يا أرض ولتخمد نيرانك يا جحيم فلقد قُبِضت روح ليست بزَهِيدة وليكن في عِلمك أيها الجَانى إننى من سيُلقيك حيًا بأسفل السَّعير وكيفما كان وَصفك وأينما كان مخبئُك فسوف أعثر عليك وحينها ستصم الآذان من صراخ آهاتك وترتعد الأفئدة من

(*) هو الخادم للسلطة من قبل الحاكم حيث يطلق على الشُّرطِيّ الذى معه السّوْط ويَضربُ به تنفيذًا لأمر الحاكم.

fb/mashro3pdf

مشهد عقابك».

كلما ازداد أحباؤك كلما ازداد ضَعفك.. إلى جوار جثمان ناصر بجسده الواهن يغوص ببطن فراغ مُعْتِم من أثر استفهام بدأ بكلمة «لِمَاذا؟» يسْتَرْجع أول تعارف بينهما بالميدان يلومه ذلك الصوت الملىء بالشَّجَن «لَيْتَنى لَيْتَنى لمْ أنزل منذ البداية لقد كنت في غنىً عن هذا أى غم هذا الذي يرافقنى وأى معيشة تلك التي يُخَاصِمُنى فيها الفرح؟! لِمَ أنا حىّ؟ يكفى ما عِشتُه لن أتزحزح من مكانى لن ألقى السلام على أحدٍ فلعلّ الموت يتَرَصَّدُه لعلنى أنا المشؤوم الذي يحيط بهم فلتُرِحْنى يا مَوْتُ لأترُكَ الأرْضَ وَمَا عَلَيْهَا من بَغْضاء».

يسأل الطبيب عن أقرباء لناصر

- حد هنا يعرفه؟

- أيوة يا دكتور أنا وهو اسمه ناصر محمد ناصر

- طب انت تعرف أهله؟ أى حد قريبه عشان يرجع لهم؟

- لا يا دكتور كل اللي اعرفه عنه اسمه بس

fb/mashro3pdf

بجسده الواهن، يغوص ببطء فراغ مُعتم من أثر استفهام بدأ بكلمة "لماذا؟"

fb/mashro3pdf

- هنعمل إيه دلوقتى مش هينفع نسيبه هنا حرام!

- مافيش حل يعنى يا دكتور ممكن نعمله؟

- أمرى لله احنا كده هنضطر نوديه المستشفى ونقيده هناك على انه مفقود بس ده غلط

- غلط ليه ما كده كويس وعلى الأقل أحسن من وضعه ده وانا هدوّر على أهله وادلّهم عليه

- المشكلة انهم هينقلوه المشرحة وانت عارف إكرام الميت دفنه

- (يصمت للحظة لأخذ المشورة من عقله الفقير لِتَبوء المحاولة بالفشل) يعنى مفيش حل تانى؟

- للأسف لأ والمشكلة انك هتسيبه هنا النهارده وبكرة ربنا يسهّل و نوديه إن شاء الله

لا طائل من الكلام يُومئ صابر برأسه معلنًا استسلامه للعَالم ويأسه إلى العَالمِين.

* * *

fb/mashro3pdf

هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ.. لا يدرى سالم ما البَاعِث لالام رأسه المَرْبوط يفَتَّش عن ما قد يداوى أوجاع جَسَدٍ ونَفْس ليس بمقدوره أن يَمحو المشهد المشهد الذي كلما انْتَهَى بدَأ المشهد الذي سيشهد على كل من شهده نرى شابان يحملان صندوقًا مليئًا بالزجاجات الفارغة يقتربون من سالم ويتَحَرّون عن مصدر للنار بحوزته يتذكر الكبريت الذي أعطاه إياه صابر.

- انتو عاوزين الكبريت تعملوا بيه إيه إن شاء الله؟

- انت هتحقق معانا؟ براحتك عاوز تجيب الكبريت هاته مش عاوز فيه غيرك

- ما بالراحة شوية الكبريت اهو بس هتعملو بيه إيه؟

- انت مش شايف الضرب اللي علينا؟ لازم نرد عليهم العين بالعين والبادى أظلم

- مش فاهم برضو يعنى هتعملوا إيه بالأزايز والكبريت؟

fb/mashro3pdf

- تعالى معانا وانت تعرف

«وما المانع؟ العنف لا يُرَدّ الا بالعنف وسأجدك يا من ظن نفسه قادرًا وستسال الموت ولن تناله أنت من اجْتازَ دَرْب الدماء فلتَسْتَعذ من شيَاطِين أنت من حَللْت أَساوِرها بيديْك».. استطاع حاملو الصندوق أن يجمعوا كمية من القنانى الزجاجية الفارغة ليضعوا فيها بِنْزِين ويقوموا بسدها بقطعة قماش ويشعلوا طرفها لصنع قنبلة من النيران النيران بلا عَزِيز بلا أعين تبصر لتخْتار أو قلب يُحِس فيُمَيّز النيران تحرق كل ما اقترب منها سواءً كان صَدِيقًا أو عَدوًا «لا يهم طالما قد وقف أمامنا إذن فهو ضدنا».

* * *

«الفَحْشَاءُ مَنْبَع التَشْرِيعَات.. القوانين عَمْياء لا تجرّم خَطِيئَة لا تراها الغَلَبَة ستظل دومًا للقوى الحُجّة حتى وإن كان ظالمًا الحق بيننا ليس بما نَعرفه يَقِينًا ونحفظه عن ظَهْر قلب وإنما بما نتَمَكّن من إثباته وإن كان بالزيف لن أتّبع سخافات قوانين أُدْرك حقِيقَتها المُشَوَّهة قد قتلوك يا ناصر وسيُلَاقُوا ما لم يَأْخُذوه في الحُسْبان ولسوف أحرقنّهم أَجْمَعين».

fb/mashro3pdf

يلتقط الزجاجة المشتعلة ويقذفها أمامه ليمنع من يحاول الاقتراب لحرق من يتحرك ناحيتهم تصيب قذائفه من نَوَى ومن لم ينوِ الفُؤادُ المُنفطِر صَارَ كَظِيمًا خَشَعَ لِوَحشٍ كاسر بداخله وحرره مازالت النَّيرَان مُتَأَجِّجة كلما ازْدَادَت كلما اسْتَزَاد وكلما احترق شيء وهَوَى كلما تفحَّمَ جزء من قلب سالم وصار رَماد قد أحرقته نار الغضب والكراهية.

* * *

لُفَّ المَنْدِيل من أعلى الرأس لأسفل الفَكّ وَأوْثَقَ الرِّباط بعُقدَتيْن.. طُوَى الجسد وهو مُسْتَلْقى في ثلاثة أثْوَابٍ بيض بُسِطَت فَوْق بَعضها البَعض ورُدَّت الأَطْراف التي تَحْويه ثم وصل بسِتْرٍ كَافٍ اكْتَسَى كُلّه بالكَفَن الا وَجْهه وكان يوم التَقَى الجَمْع خارج المَعْزَى.

غُمِدَ السَّيْف وسط المَلْحَمَة.. وسيَسْالونَك مَاذَا صَنَعَت حِينَها وستُجِيبُ «كُنْت أُشاهدهُمْ يَمُوتُون فَأنا الشَهِيدُ الحيّ أَنَا المَلْعُون الوَرِق أَنَا الأَثَرُ الباقى لِذِكْرَى أَتَذَكَّرها كلما ذُكِر اسْمى فلا أنا من كنُته قَبْلًا ولا سَأَكون من أَرَدْتُه يَوْمًا».

fb/mashro3pdf

جلس صابر بجوار الجثمان مصابون من حوله وموتى يحيطون به مُسْتَكْفٍ بما حملته أكتافه من هموم أسَرَهُ اليـأس وجعله فاقدًا للمعنى مفتقرًا للإحساس «ومن أين العزيمة طالما لن أستمع لكلمات ناصر؟ وبِمَ ينفع الحماس وميشيل من كنت أُشْدّ بِهِ أَزْرِى؟ سأعود الأَدْرَاجَ لِدِيارى إلى حياتى البائسة التي لم أعْهَدْ سواها سأنام بفراشى وأنتظر أن يَقْبِضنى الرحمن يكفى من ارْتَحَلوا عنى وأخذوا معهم بَعْضًا منّى كفَى دماءً لن يردّها التنَاحُرُ كفَى نيرانًا لن تَنطفِئ بالدموع فلن تُبْلُغ الغاياتُ بِالتَمَنَّى».

* * *

صبْاحٌ أَشَعَّتِ الشمسُ بنورِها في أرْجائه.. لتظل العين سَاهِرَةً لم تَذُق النوم لقد تشوهت معانى الكلمات فهو لم يسأل على حالها ولَمْ تَجُلْ صورتها برأسه أفلتَ يَده فانْقطعَ الوَتَر الواصل بينهما هناك ذاك الثقل الهائل على كَاهِلها النَحِيل الأسى يحتضن ميرفت «لا لم أخطئ فالرجال لا يريدون طاعة النساء وحسب بل ومشاعرهن أيضًا أن تكون المرأة جارية بإرادتها يُؤمِنونَ بأن التَمام في الخُنُوع

fb/mashro3pdf

فلا يزال الناس ينظرون إلى التمرد ضد المُقَرّر بنفس نظرة عِصْيَان العبيد للعبودية فالمرأة التي تفعل ما لا يوافق عليه الرجل تجعل من نفسها شهيدة أنا لم أُرِدْ يومًا فراقًا لكنه لم يترك لي خيارا عندما تركنى فلم أجد نفسى حينها إلا مُغَادِرة!».

* * *

لا عدْل بأَرْض قد شَاع الفَسَاد دُخانه بسمائها وأَمْسَكَ المَطَر « لِمَ أَعْتَقَت إبليس وحَللْت أَصْفَاده؟ لِمَ لَمْ تجعَله سَجِين ظلامه حين شَيَّدَ عرْشه فوق قَبْر آدم؟ سُحِقَ رَأْسُ البَرِىء بحجر ومُجِّد السَفَّاح بدمائه.. لِمَ تُنْحَر رِقَاب الصالحين قَرَابِينَ لتُسْقى الشجرة الطّيبُة وحين الحصاد يجنِى المنافقون ثمار التضحية؟!.. أين أنت من كل هذا! لِمَ لا أرى عَظِيمَ قدرتك وجَلال جَبَرُوتك؟ أَصَابَنا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ ونحن لعَفوك سائلين فتغافلت عن حاجاتنا بتنا مُنتظِرين المُعْجِزَة في زمن بلا أَنْبِيَاء أنت من أفقَدتنى اليقين بك فها أنا أُعْلنها جَليَّة بأنى لن أَتَضَرَّع لاسمك بعد اليوم».

'مِن بَيْن صُخُور صَلْعَاء بصَحْرَاء جَرْدَاء نَبَتَت زَهْرَة

fb/mashro3pdf

الكَاليتُوس

اجتذبت ملامح الحزن على وجه صابر تلك السيدة العجوز وبعفوية اللطف اتجهت اليه لتواسيه تقترب منه بخطواتها المُتعكّزة وردائها الأسود الفضفاض البسيط ربَتَتْ برِقّة على كتفيه فأيقظته فالتفت اليها.

- مالك يا ابنى شكلك تعبان اوى فيك إيه؟

- (نظر لها وهو مستمسك بالصمت يلوّح لها بيده مطالبًا إياها بالابتعاد يخفض رأسه في الأرض معلنًا نهاية الحديث)

- (تبتسم له لتخفف عنه) معلش يا ابنى اعذرنى بتطفل عليك لكن لاقيتك حزين وزعلان قلت اشوف مالك وبالمرة اتعكز عليك ما انت في مقام ابنى برضو

(مازال صامتًا، مازال يحدق بالأرض)

- أنا مش قصدى اضايقك أنا هاسكت خالص وهفضل جنبك لغاية المحنة دي ماتعدّى

* * *

fb/mashro3pdf

سَوَّدَ بَهَاء اللَّوْحَة الزاهية.. لم يعد هناك من قنانى تلبّى رغباته حصدها جميعًا ينظر حوله بحثًا عن أى شىء آخر يلتفت للذين جاءوا به

- عاش يا بطل انت خلصت الأزايز كلها لوحدك محدش قدر يهوب ناحية هنا.

- أنا عاوز أزايز؟

- اصبر بعتنا نجيب وبالمرة تريح دراعك

- دراعى إيه بس دلوقتى مافيش أزايز ليه؟

- ما قولت لك بعتنا نجيب هو احنا هنضرب الأرض تطلع مولوتوف!

- هما بيجيبو منين؟ هروح أنا وارجع بسرعة

- هتلاقى في بوابة عمارة من اللي هناك دول

في مرحلة ما من حياتك تكتشف إنك صرت شخصًا آخر لم تكن ستقابله أبدًا.. يذهب من حيث أخبروه غير مُكْتَرِث بما خلّف من دمار شغف الثأر طغى عليه يدفعهم من أمامه من أجل الوصول يزيح كل من

fb/mashro3pdf

يعترض طريقه ويعوق حركته لم يعد هذا سالم الذي كنا قد بدأنا معه الرواية.

* * *

الضِيَاء شاع بالأَرْكَان الا أن النور لم يكن ليدخل قلبه المَهْمُوم.. مُكتّف الذراعيْن ضَامّ الركبتيْن مُضْرِبٌ عن الكلام غير مبال بسؤال السيدة عمّا جاء بها اليه غربت عنه لما رأت منه الإعْرَاض أراد الوحدة ولكنه لم ينلها حين اقتحم أحدهم خلوته والقى عليه السلام.

- السلام عليك أيّها النِبْرَاسيّ

- (اقْشَعَرَّ بدن صابر من نبرة صوت مميزة له) وعليك السلام

- انهَض انهَض يا ابْن طَرِيد الفِرْدَوْس

- (وقف صابر عن فوره)

- سَلْ

- اسال!

fb/mashro3pdf

غربت عنه لما رأت منه الإعْرَاض

fb/mashro3pdf

- سَلْ عمّا بجَوْفك وما أَضْمَرَت روحك

- أنا منتظر الرُّؤيَة للأَجْوِبَة

- تحَرَّر من حَيِّزَكَ فالعَيْنُ لاَ تَرَى ما تُبْصِره الرُّوحُ سَلْ!

- لو كنت تعرف عنى فسُؤالى بكلمة واحدة.. لِمَ؟

- ولسُؤالك جِئْتُ مُلَبِّيًا سلْ!

- لِمَ الشر مَتْرُوك؟

- اللهُ طرح الشَّر بَيْنَكُمْ لتَخَيَّرَوا فإذا أُكْرِهتُم عَلَى أَنْ تَفْعَلوا الخَير فلا نَفْع منه فيكُونَ عَمَلًا تَأْتُونَه غَصْبًا

- لِمَ العدل مرْفُوع؟

- ولَقَدْ صَرَفَ عنْ أَنْفُسِكُم العَدْل واسْتَأْثَرَ به فإن تَرَكَه فِيكُمْ ما كَرِهْتُم مَرَار الظلْم لتَشْتَهُوا رَغَد العَدْل وتَرْجِعُوا إلى الله

- لِمَ العِقَابُ مَفْلوت؟

- قُلْ لِمَ خُلِقَ الجَحيم ؟ وإن فَرّوا بالحَياة الدّنْيا فلا مَنَاص مِن المَوْت وكَانَ عَمَلُهم اليه مُحْضَرًا الا من تَوْبَة

fb/mashro3pdf

تسبق يَوْم المَمات

- لِمَ الشَّقَاءُ مَخْلُوق؟

- أفلا يَكُن الله قد فَضّل بَنِى آدَمَ على المَلاَئِكَة وَرَفَعَهُمْ دَرَجَاتٍ بِأَن جَعَلَهُمْ يَشقون ويُكَابدون

- لِمَ الالهُ مَحْجُوب؟

- لَيْسَ بمُدْرَك يُحجَب ولا بمَلْمُوس يُحَاط فهو من أَوْجَدَ للوُجُود وُجُودًا ومنَحَ الحَيَاة مِنْ رُوحِهِ فانْظرْ إلى رُوحك تجده

- لِمَ الإنسان مَسْئول؟

- حَبَاكم الله عَقْلًا لتَتَدَبَّرُوا به الأَشْيَاء لا لتُهْملوه مَهَجْورًا

- لِمَ الحَوارِىّ مَقْتُول؟

- خاطَبَه الحَقّ مِن الجِنَان فنَال مُبْتَغاه وقرُبَ مِنهُ بَعدَ البُعد واصطَفاه

- لِمَ نَادَيْتنى النِبْرَاسىّ؟

- لأنك أنت من سيشْعِل فَتِيلَ السِرَاج ويَسِنَّ

fb/mashro3pdf

نَصْل الرُّمْحِ ويصُدّ خَيْبَة الخُسْرَان

- أأنت هو الحافظ لكلام الله؟

- ألكلام الله لهو الحافظ

لُمَلَم المُجَاوِرىّ عَبَاءتهُ و طُوَى الكَفّ واخْتَتَمَ القَوْل «ولا تُحاسِبوا الله على أَفْعالكم الا إنكم أنتم عن أَفْعالكم تُحَاسَبون فالسَاخِط من شَدَائِد القَدر يُخَاصم نفسه لا القَدر فمثله كمثل الضَارب بيَده الجِدَار أستُدمى اليَدُ أم يُدمى الجِدَار؟» بسط المُجَاوِرىّ يده وصافح النِبْرَاسىّ وأدار ظهره للمحارب وانطلق.

* * *

تَائِهٌ بسَرَاب الثَّأْر.. لا أثر لما يتحرك لأجله أضَاع نفسه في مَتَاهَة لا حدودَ لَهَا مَعمىّ البَصَر أَقْصَته العَدَاوَة من مَجْلِسنا أَفِقْ يا سالم فإن الميدان قد أصبح خلفك.

* * *

عاد صابر بروح مستريحة وتذكر السيدة التي كانت تواسيه فقرر أن يبحث عنها إلى أن وجدها كانت تجلس عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ الخيام حَامِلَة لكِتَاب بين يديها تَتَلَعْثَم في

fb/mashro3pdf

قرائته اقترب منها فتنبهت لوجوده تُبجّل عظمة الله وتغلق كتابها.

- حمد الله على السلامة أيوة كده شوف وشك نور ازاى؟

- (ابتسم لأجلها).

- أنا كلمت الدكتورة اللي واقفة هناك وقالت لي انهم هيجيبوا عربية عشان يودّوا اخواتهم المستشفى استنى معايا وهما هييجوا دلوقتى

- (ألقى نظرة على جثمان ناصر)

- اخوك في الجنة إن شاء الله يا ابنى ربنا كبير ومش هيضيّع حق الغلابة

* * *

أُغلِقَت أعين لنرى النور بالظُلمات قُطّعَت حَنَاجِرُ لنُغَرّد بالحْان الحرية سقط النُبلاءُ لأجل أن يستردّ كل منا كرامته.

سَاعَة الرحيل.. ها هم يحملون النَّعْش، ها هي

fb/mashro3pdf

السيدة تُتَمْتم بالأدعية، ها هو سالم يَدُور بالدَائِرَة، ها هي ميرفت تُمْسِكُ بالخيط وها هو صابر حائر بين عَهْد قَسَم اليمين ووَعدٍ عسير التَمْكِين الأحرار يكملون المشوار المشوار الذي حدثه عنه ميشيل وحلم به ناصر وأدله عليه المجاوريّ قرر أن يرفع الراية التي حملها السَّابقون رايةً تحمل عبارة أن الحقّ سائر بالحقيقة وبالعهد والوعد والوثيقةْ.

fb/mashro3pdf

الأشْعَثيّ(*)

جَلَسَ سالم فوق الرَصيف.. يلتقط أنفاسه بعد أن أنهكه الدّوار سمع صياحًا عاليًا قادمًا من أحد الأزقة المجاورة له يفزَع سالم فيركض ناحية الصوت اقترب أكثر فأكثر وتوقف بجانب شجرة قَبَضوا على رجل ويضربونه دون مُقاوَمة منه يكسر سالم غُصْنًا من الشجرة.

- (زَعَقَ بهم) سيبه ياد انت وهو ورحمة امى اللي هيقرب منه ما هرحمه

- (يعترض أحدهم) وانت فاكرنا هنخاف منك؟ اللي انت قادر عليه اعمله!

(*) يُطلق على المدمرين والمخربين وهو الإنسان الذي يُصاب بحالة نفسيّة تتصف بغياب الشعور ويصير متبلد الإحساس

fb/mashro3pdf

- (بدون سابق إنذار يرفع سالم الغصن ويهوي به على المُحْتَجّ فينْفَجر الدم بجَبِينه)

- انت بتضربنى يا ××× أمك!!

- اضربك واعوّرك كمان ويلا من هنا بدل ما ادفنك مطرحك

- (تراجع المُحْتَجّ خطوتيْن للوراء يَخْشَى عدوان قبضَة لا تعرف التراجع)

- اللي عاوز حاجة من الغلبان ده يجى ياخدها منى والراجل فيكم يقف

- (لا داع للنِقَاش أَعْتَقوا الأسير في سلام إرضاءً لبطش سالم ينادى سالم أحد المُغادِرين والذى لم يكمل العقد الثانى من العمر حيث رآه يخبّئ شيئًا بملابسه) استنى انت هنا عاوزك

- (يقف الشاب مكانه وهو يرتجف)

- انتو كنتوا ماسكين الراجل ده ليه؟ وايه اللي بتخبيه في هدومك ده؟

fb/mashro3pdf

- (يضع الشاب ذراعه أمام وجهه وهو مُرْتَعِد ويُطلِع سالم على الحادث) والله العظيم ما عملت حاجة ده المسدس بتاعه أصله أمين شرطة من بتوع أمن الدولة وكان عاوز يدخل الميدان ومسكناه حتى شوف ده الكرنيه بتاعه

نَزَعَ سالم الورقة وتَفحَّصَ تَشَابُه المَلامِح بين الوجه والصورة ليبدأ صراع المشاعر بمعركة أخلاقية.. تَنْقَلِبُ النَبَرَات.. «إنها الفرصة السانحة لتَظفر بالقَصَاص أنسيت ناصر وكيف سقط بين ذراعيك دون أن يتاح له حق معرفة الجانى؟ أنسيت الدم الذي تناثر على وجهك؟ لولا القدر لكنت أنت من بَات مَقْتُولًا لقد أقسمت على الثأر مهما كلفك الأمر وطال بك الزمان لقد سَقَط بين يديك من حَمَل العَدَاوَة حين حَمَل السِّلاح ها هي الأمنية تتحقق لتعاقب المُذنِب إنه هو من سَفَك الدِّمَاء فلا تَأْخُذك بِهِ رَأْفة».

أشار سالم للشاب الصغير بأَنْ يُعطيه السلاح الذي وجده بملابس أمين الشرطة فقد كان يبحث عن هذا السلاح يأمر سالم الشاب بأن يغرب عن وجهه يركض الشاب

fb/mashro3pdf

مبتعدًا قدر استطاعته عن هذا المُخْتَلّ المُفْعَم بالغَضَب.

* * *

«سأَهْبَ النيرَان بالدِّماء وسأنحَر السَفَّاح بسيفه فلقد بُعِث الأشْعَثُيّ من الجَحِيم توًا».

يُلقم الطَلَقَات ويرفع السِلاح عاليًا ويوجهه إلى رأس الخَاضِع أسفل قدميه يَعُمّ السُكُون السَّماء وتُبْطِّئ الأرض من دوَرانها فلا بشر فوقها عَداهما الاثنيْن.

- (بنَبْرَة حادّة خَافِتة) انت عارف ان أنا كنت بدوّر عليك؟

- (الخَاضِع يتشبَّث بأقدام سالم وينزل بوجهه على حذاءه ويُقبّله) ابوس رجلك يا باشا ابوس رجلك ماتموّتنيش أنا عندى عيال وعاوز اربيهم وأمى ست كبيرة وعيانة ومالهومش غيرى

- وهما اللي ماتوا ماكانش عندهم عيال؟ ماكانش عندهم بيت وأهل؟ عرّفنى كده عملوا إيه يستحقوا عليه الموتة دي؟

- (مَبْحُوح النّحِيب) والله ما أنا والله ما عملت

fb/mashro3pdf

لهم حاجة دي أوامر واحنا بنّفذها

- (مُحتبِس الدَّمْع) وهى الأوامر انك تنفذ من غير ما تحس؟

- (يسْتَغِيث بالمُغِيث) يا رَبّ نَجّينى يا رَبّ نَجّينى!

- (رذاذ لُعَاب فَمه يتَطَايَر صارِخًا) ربنـــــا؟! دلوقتى افتكرته لما جالك الموت؟!

الأَجْحَف الصَّارِمُ يُلْصِق مُقدّمَة المسدس بجبهة الخَاضِع يكاد يخترق عِظَام جُمْجُمَته لا يسْتَقْطِبه الرجاء طَّنينُ الوَسَاوِس بذِهْنُه «اقتله اقتله اقتله!».

- (بعيونه الدامية دَنَا لوجه الخَاضِع وأخفض حِدة صوته) انت بتدعى ربنا؟ دُعائك ده ممكن يرجّع الزمن؟ يقدر يرجّع لي دمى اللي سال على الأرض؟ هيرجع نـــاصـــر للدنيا دي من تـــانـــى؟

- (ألقَى به في حُفْرَة بلا قَاع)

- (صرخ به) هتـــــرجّـــع اللي مـــات للدنيـــا من تـــانى؟ جـــاوبـــنـى؟

fb/mashro3pdf

- (لم يتبق له سوى البكاء ويتسائل كيف ستحِلّ المُعْجِزَة)

- جاوبنى؟ واللى اتدهس واللى اتسحل واللى اتخرس واللى اتعمى واللى اتقتل.. ذنبهم في رقبة مين؟

- ارحمنى!

« لَيْسَ لديك اليَوْم مِن شَفاعَة إنّ لك أن تتحسّسَ لَهِيب صَدْرى وتنْظر إلى الدَّم الفَائِر بعَيْنى فستُبْصِرُ مَخْبَأ الجَحِيم الذي سأُرْسِلُك اليه».. بكل الحزن المُخَيّم وبكل الغضب المُتَمَكّن ينطق بآخِر القَوْل.

- وانا مش ربنا عشان ارحمك

تتجمَّد الإبَر الثلاث بالسَّاعَة وتتَصَلَّب الأَوردة بمُقْلَة العَيْن.. ضَغَط الزّناد لتخرج من بين فوّهة أنبوب معدنى رصاصة تحمل معها آخر ما تبقى من أَسَفٍ ويتصَاعَد دُخان الروح فهو أَبْيَضُ اللون له رائِحَة التُّرَاب بعد المَطَر يتهاوى الخَاضِع كبنيان شاهق مُعْلنًا انْهِيَار شعار البرىء من دم ابْن يَعْقوب قَلْب الأَشْعَثىّ كصَخْرَة تتحطم فوقها قَوَارِبُ النجاة بأمانىّ العيش بكون يسوده السلام اقتلع

fb/mashro3pdf

الأشْعَثيّ بقبضته الضمير من صدره ولطخت الدِّمَاء يَديه.

لااسْتِياء لا ندَم.. بل أَمْن واطمئنان وبهُدُوء يضع المسدس في جيبه وينتزع الضمادة التي تغطى جرح رأسه ويقذف بها بعيدًا عنه الضمادة الحاملة لدم سالم وعرق صابر ورائحة ناصر الضمادة التي مزقها صابر من قميصه ليوقف بها النزيف الضمادة التي اعتنى بها ناصر من أجل أن يتعافى المُصاب قطعة من القماش جمعت بين أَقدار مشتّتة.

يَغرُب بوجهه عن القتيل يمشى مبتعدًا فلم يعد له غاية في البقاء ولماذا البقاء وقد تحققت الرغبة؟ يتوهّم أنه سيعود لحياة معتادة ويكمل بها الأيام المُتبقّية راجِيًا أن تنمحِي الحقيقة ويأوى بسكِينَة إلى الفراش ليلًا يتحاشى النظر بالمرآة هَرَبًا من رؤية صورة الوَحْش المنعكسة في عينيه فعندما تَخْتَرِقُ اللَوْحَات وعندما تتبَعْثَر الصُّحُفُ ستعود لَعْنَة الأشْعَثيّ وَيُطيح بالأَعْنَاق.. لم نكافح لأجل أن تزداد شَوَاهِدُ الأضرحة ويتّسع مُسْتَنْقَعُ الدِّمَاء.

* * *

fb/mashro3pdf

لا أشياء لا ندم . . بل أمن واطمئنان. وبهدوء يضع المسدس فى جيبه

fb/mashro3pdf

يحمل صابر التابوت فوق كتفه متمنّيًا أن تكون تلك هي الأخيرة يبكى بدمع لم يجف مجراه من على وجهه يضع جثمان ناصر على ظهر السيارة برفق شديد وكأنه قطعة كريستال يُقبّل جبهته ويدعو له سرًا يحاول الا يستسلم للبكاء كى لا يسقط من ثباته الواهى يتراجع تاركًا باقى الإخوان يودعون أحبابهم نَصيرُ رقمًا في القائمة ونشترى تذكرة الإفراج عن جثة برىء تنتظر الدفن وكَأَنَّه المَدْيُون ببلدٍ لا يُرَاعِى حُرْمَة الموتى.

تحيّة الوَدَاع ونّظْرَةُ الخِتَام.. ابتعدت السيارة إلى أن اختفت عن الأعين الآجَال كالشَّمْع تَذوب ذكريات شكلت جزءً من حياة لن تتذكرها كُتب التاريخ بحرف جزء بَائِس مَنْسِىّ ولكنه مَجِيدُ الذِكْر.

* * *

تدورُ الكَوَاكِب و تَدُورُ والا انْدثَرَتْ.. ولطالما القلب ينبض فلا تخمده باليأس ينظر صابر من حوله فيرى أعلامًا ترفرف وأناشيد تغنى وأهال مجتمعون في الفَرح أينفض من على ملابسه الغبار ليستقبل من بعده الندى

fb/mashro3pdf

يتجوّل في الميدان كأنه زائر يمشى بين الحشود مُتأنّى الخطوات كى لا يتعثّر.

* * *

ألحَانٌ ومُوسِيقى.. هش الشَّعْر ضَئِيل التكاوِين ملفوف حول معصمه أحبال له عُود يُضرب عليه بريشة يعزف منفردًا كما لو كان فوق مسرح وله جمهور خيال يولد لحلم قد كان بعيدًا يتابعه صابر من هناك كى يرى المشهد كاملًا يغنى والميدان يلتئم من حوله وبينما هو عاكف على غناءه يقترب منه رجل

- انت بتعمل إيه؟ حد يغنى وفى ناس ميتة!

- بس أنا مش بعرف غير الغُنا عشان اعبّر عن اللي جوايا وأقدر أشارك بيه مع الناس

- حرام عليك اتقِ الله! أغانى وموسيقى ناقص تقولى اتحزم وارقص كمان!

- أنا آسف هاسكت..

- (يُغلق آلته معلنًا مغادرة الفرقة صابر يتعجب

fb/mashro3pdf

ويقرر أن يتدخل)

- في إيه يا أستاذ صوتك عالى ليه؟ هو الأخ ده زعلك في حاجة؟

- يرضيك يعنى جايب عود وعمال يغنى؟

- وايه المشكلة هو صوته مش عاجبك مثلًا!

- لا يا سيدى بس ماينفعش حد يغنى وفى ناس ميتة مافيش أدب ولا أخلاق خلاص؟!

- ماينفعش يغنى ليه؟

- يعنى انت شايف إن مافيش فيها حاجة!

- أسالك وترد بصراحة؟

- اتفضل

- بذمتك لو كان الناس اللي استشهدت دي موجودة كانوا هيمنعوا حد انه يعمل حاجة هو بيحبها؟

- لأ

fb/mashro3pdf

- كانوا هيمنعوه انه يغنى؟

- لأ بس....

- (مقاطعًا) وطالما لأ بتمنعه ليه؟ مين ادالك الحق في انك تخليه يسكت وتزعق في وشه؟ لو عاوز تنصحه لله يبقى بالراحة

- (شعر بشيء من الخجل ولكنه لا يتراجع عن موقفه كونه شرقيًا في المقام الأول) بس هو غلطان انه بيغنى

- (يمشى المعترض مبتعدًا عنهم تاركهم لهواهم مستمسكًا بقناعته يعلم أنه أخطأ بالتعبير ولكنه يضع المبررات)

- كمّل وغنى واوعى تعمل اللي الناس بتقولك عليه اعمل اللي قلبك يدلّك عليه

* * *

السَّحَاب حالك والغَيْم لن ينْجَلى.. هكذا الأرواح القَنُوطة مقطوعة الأَنْفَاس قبل النهاية في تلك الأثناء

fb/mashro3pdf

كان هناك جالس بجوارهم يستمع إلى الالحان ليس من المؤمنين بالشعارات أو من مصدّقى الهتافات فهو ليس بصديق المارِد ولا يمتلك عصاً سحرية تُحدِث ما لا يقدر على تخيله كان ذو مظهر غير متكلف شعر أسود داكن قصير ذو تسريحة مائلة يحمل بجعبته الفضول ولا يترك حائطًا الا وحفر عليه اسمه لا يثق الا بما ينصح به الطبيب كان يستمع للعازف وأحب كلماته فقرر أن يشاركه الجلسة يستكمل العازف بصوته العذب.

وطنُ الحُرِّ سَماً لا تُمْتَلَك

والفتى الحرُّ بِأُفْقِهِ مَلَك

لا عَدَا يا أرضَ مِصْر بِكى عَاد

إنَّنا دُونَ حِمَاكِى أجمعين

يصفق صابر ويضع يده على كتف العازف ليثنى عليه ويصفق الشاب الجالس معهم بدوره كونه أحد المتابعين ويترك تعليقه العابر.

- حلوة الأغنية بس قصدك إيه بالكلام ده حاول

fb/mashro3pdf

توضح المعنى شوية

- ده النشيد الوطنى المصرى سنة ١٩٣٦ واللى كاتبه مصطفى صادق الرافعى ولحنه صَفَر على

- معرفش الناس دي وكمان أول مرة اسمع النشيد ده!

- لازم تعرف عنهم دول تاريخ مصر في الأدب والموسيقى

- منّك نستفيد

* * *

حَرّك القَدَرُ أَجْزَاء الأُحْجِيَة.. صابر والعازف أولهم كتب له أن يعيش بكل يوم مع شخص يستحضر بحياته وقائع لا تتكرر مع نفس الشخص والعازف تمنى أن يستمع اليه مُجَامل فوجد نفسه يحيى الليلة بمفرده.

لَيْلَة سَمَر في حضور الذين أطلقوا عليهم الكَادِحين أو سُكَّان الحُجرات تزداد دائرة الوَافِدين اتساعًا حول العازف تجمعهم البسمة المنيرة بالوجوه في البساطة

fb/mashro3pdf

نشهد أروع ما قد تظهره لنا البشرية من محبة يصفقون يغنّون يمرحون ليلة ما كان سيأتى ذكرها بصَفَحَات امتزج بها مِلْحُ الدَّمْعِ بحِبْر القَلَم.

* * *

كان يقف بأحد الأحياء الشعبية له كَعْبان مُشَقّقان يظهران أسفل جلبابه القصير يحفر أسنانه بعصاً خشبية خشنة يكاد يصنع فجوة بين فكيه يفتح فمه عن آخره فيطلق صيحة لها صدى «ســامح!» تتلقفه بعدها إشارة من الأعلى تعنى أن اخرس وينزل دكتور سامح السلالم مهرولًا.

- اخّرنا كده زى كل مرة

- كنت بلبس يا عبد الحليم انزلّك عريان يعنى!

- عذر أقبح من ذنب

- ربنا يسامحك

- طب يلا اتحرك عشان الناس مستنيينّا من زمان

fb/mashro3pdf

كانوا قد قرروا حصر من أرادوا الانضمام للميدان بعد أن تيقّنوا أن هذا هو المكان المفترض أن يتواجدوا به نرى تَجَمْهُرٌ بناصية أحد المقاهى حيث نقطة التجمع التي اتفقوا عليها يقترب عليهم سامح وعبد الحليم.

- السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ازيكو يا رجاله

- وعليكم السلام يا شيخ

- أنا مش شايف يعنى زكريا وفارس هو انت نسيت تكلمهم؟

- لا يا شيخ مش هييجوا بيقولوا هيبقوا يحصّلونا بعدين

- براحتهم المهم يلا بينا احنا عشان نلحق نوصل

تفرقوا بشبه عشوائية حتى لا يلفتوا الأنظار لعددهم كل اثنين في فريق وكل فريق يمشي مبتعدًا عن الآخر ببضع خطوات يعرفون وجهتهم في اتجاه سيارة ميكروباص مركونة بأحد الشوارع تجدهم قد أصبحوا بداخلها

fb/mashro3pdf

تتحرك بهم بعد أن اكتمل العدد.

* * *

مُتَلاحِمة الأوصال.. لها نَوَاةٌ وجِدَار وعَصْب تنبض كدقات قلب وَلْهَان تأسر الأبصار حين تُشرق تخلع عنك ثِياب الأَنَـا لتلبسك حريرًا مُطَرّزًا بالإيثار غَيّرنا ما بِأَنْفُسِنا فغَيّر الله ما بِنا.

* * *

'مَاذَاَ لَوْ أَنَّ الشُعْلَة المُنِيرة كَامِنة بجَوْف كَهْف دَامِس ويسكن الكَهْف أُفْعُوَان ينَفُث اللَّهَب؟'

أَوْغَلَ صابر أصابعه بداخل الكِيس ينجح في الإمساك بقطعة خبز فارغة يقسمها إلى نصفيْن يتساقط منها الفتات.

- امسك مد ايدك

- لا بالهنا والشفة انت ماليش نِفس

- امسك بس

fb/mashro3pdf

- ماليش نِفس.. (عيون حائرة) الوضع ده مش هينتهى بقى يا صابر هنفضل في الشارع لإمتى؟

- (يجيب وفمه ممتلئ) همههم هانت خلاص قريب قريب اوى

- قريب ازاى بس!! احنا ملطوعين هنا بقالنا كذا أسبوع ومافيش حاجة بتحصل واللى قالقنى أكتر إن الوضع اللي جاى مايطمنش شوفت الطيارة اللي كانت فوقنا من كام يوم دي؟

- ههه.. يعنى هيضّرب علينا أنابل وسواريخ مثلًا!

- مش بعيد أى حاجة تهون عشان الكرسى يدوم

- حتى لو موتنا كلنا ماعادش هيبقى له حكم مافيش ملك من غير شعب والكرسى ده احنا هزيناه خلاص

- وبعد الكرسى يا صابر؟ احنا هنختار المجهول

- انت قولتها احنا اللي هنختار مرة واحدة

fb/mashro3pdf

في حياتنا نختار وبص حواليك كده هتعرف نتيجة اختيارهم عمل فينا إيه

- بس هنتخبّط في الضلمة وممكن حالنا يسوء

- أو ممكن يتحسّن وعمر الضلمة ما بتدوم وأفتكر إن اللي بيخلي الانسان أسطورة انه بيقدر يمسح كلمة مستحيل ويكتب بدل منها اسمه

* * *

نَفسُك مُقَيَّدة للأَزَلِ بكُرْسِيّ الكُرْسِيّ مَرْصُوصٌ بصَفٍّ تَبَيَّنَ أن مَصِيرُك بمَخْطُوطَةٍ لست أنت من خَطَّها بيدك تسعَى لِاخْتِيارٍ بَعِيد عن حدّك المَرْسومُ فيَأبَى الدَّجَّال أن تختار تَثورُ عليه بالتَّسَاؤُلِ فيرَدّ عليك بجَوابيْن إما أن تتَوَلَّى الدَّفَّة فتمسى متَخَبِّطَ المَسِيرِ إلى نُصْرَةِ عَقْل أو اتّهام بجُنون؛ وإما أن تَأمَن مكانك تاركًا العَاقِبَة لغيرك فتموت هنىء النفس فإنك لست المُلامُ.

* * *

يأتى نداء من خلف صابر الصوت اليف والنداء يتكرر

fb/mashro3pdf

النداء يحمل اسمه «صـابر» ينتابه الارتباك «من أين عرف اسمى؟!» يلتفت عسى أن يعرف من المنادى تمتد يد من وراء ظهر صابر لتمسك بكتفه وتنتشله بعنف.

- صـــابر استنى رايح فين؟

- (يرفع كفه للدفاع عن نفسه وعند اللحظة يتوقف فجأة) فارس! خضّيتنى يا راجل!

- ما أنا بنادى عليك بقالى مدة إيه اتطرشت؟

- وهسمعك ازاى في المهرجان ده! أخبارك إيه؟

- تمام انت عامل إيه؟

- الحمد لله بس إيه اللي نزّلك؟

- مافيش أصل في يوم لاقينالك الشيخ عبد الحليم دمه حِمى وقعد يخطب فينا عشان ننزل وأقنعنا كان المفروض زيكو ييجى معايا بس كبر دماغه وقعد في بيتهم وأخرنى على الشيخ وخلاص فنزلت أنا لوحدى ولما جيت هنا لمحتك من بعيد شبّهت عليك وبعد لما اتأكدت ناديت وروحت جبتك بس شكلك متبهدل..

fb/mashro3pdf

إيه حكاية ؟!

- طب تعالى نقعد في جنب الأول وانا هحكى لك

* * *

تتغير الأصوات من حوله كلما تبدّلت الالوان المنعكسة بحدقته لا تتوقف أصابعه عن الطرق على الأزرار العرق بأنامله قد أزال ملامح الكتابة المطبوعة فوقها يترك جهاز التحكم عن بعد جانبًا ليزحف بيديه أسفل رأسه مطّلعًا بالسقف يغمض عينيه لبرهة لعل العين تستريح من الم المتابعة.

- مالك يا ابو صابر فيك إيه؟

- مفيش تعبان شوية قولت اريّح عينى

- طب خش نام جوا بدل قعدتك اللي تكسر العضم دي!

- (يعتدل في جلسته) الواد صابر وحشنى اوى يا ام صابر قلبى واكلنى عليه بقاله أسبوعين في الشارع

fb/mashro3pdf

ومحدش فينا عارف أخباره إيه ولا أراضيه فين!

- ماتقلقش هو كويس إن شاء الله وربنا هيرجعه لنا بالسلامة

- يسمع منك ربنا

- مشكلة العيال دي إن دماغهم ناشفة ومش بيسمعوا الكلام الراجل هيعمل إيه اكتر من كده هو حد كان يحلم انه مايرشحش نفسه تانى؟!

- والله ما عارف آخرتها إيه

- العناد مش كويس وكفاية اللي راحوا لحد كده معندهومش حق

من أقصى شمال الغرفة يدَاهمهم صوت ليِّنٌ يطْويه السُخْطٌ للسَان لَمْ يَنْبِسْ بِبِنْتِ شَفَةٍ منذ دهر.. إنها كوثر الشقيقة الكبرى لصابر.

- معندهومش حق!! الحَقّ الأيام دي مش بيرجع الا بالغصب احنا اتّاخد منا كل حاجة كل حاجة وماتبقّالناش غير الكفن اللي كل واحد فينا بقى

fb/mashro3pdf

شايله على كتفه بنتمنّى الموت في كل خطوة بنخطّيها نفسنا مكسورة وكرامتنا متهانة ريقنا نشف بقينا عبيد للقمة العيش بنتستّى العضمة من بُق الكلب دمنا بنبيعه في أكياس يمكن يجيب حق الغموس شرفنا اتداس بالرجلين وتمنّا رخص بقينا بنستعرّ حتى من أسامينا خلّونا أغراب في أرضنا وبنهرب من بلدنا اللي بقت سجن عيشة تقصّر العمر يبقى نتدفن بكرامة أشرف مليون مرة على اننا نعيش بمهانة!

غرَبوا بأنظارِهم عَنْهَا.. لا يَقويان على الإطّلاع إلى عيون كتمت النَّزِيف يخشيان مواجهة الكلمات لمدارة ذلك الالم الساحق الذي عبر الحِسّ من أثر ضغطة إنعاش قاسية.

يلمح الأب الشَّرِيطُ الأحمر للأخبار فينتفض ويقترب بوجهه من الشاشة الملونة ليقرأ الخبر «مبارك يبحث مع قيادة الجيش مقترحًا بنقل كافة صلاحياته لمجلس عسكرى انتقالى».

* * *

fb/mashro3pdf

النِّبْراسىّ

تتَوَحَّد الأَفْئِدَة.. الانْتِظار هو عنوان الموضوع اقترب إعلان القدر لانتصار الإرادة اجتمعوا أمام الشاشات تتسارع دقات القلب شغفًا التوتر أصاب الأيادى برعشة تقرأ بعيونهم جملة «النهاية» تظاهروا بالثَبَات في أحلك لحظات التَرَقُّب تم إبلاغهم بالنتيجة ولكن أرادوها أن تطرب آذانهم «أنـــا أتنـــحـــى»..

كانت تلك هي الكلمة التي بعدها ينسْدِل السِّتار.

إحدى عشر دقيقة من الغطرسة لطاغية ما زال يثق بسراب السلطة لم يتحملوا الاستماع لتلك النُكْتَة السَمِجة رَفَعوا الحذاء لمن يحسب نفسه لم يسقط وأنهم في انتظار كرمه

fb/mashro3pdf

تقرأ بعيونهم جملة "النهاية"، تظاهروا بالثبات في أحلك لحظات الترقب

fb/mashro3pdf

سيأْتونَه سَعْيًا ولو كان عرشه فوق قمة الهرم طَفَحَ الكيْل وفاض بهم الصبر واليوم هم من قرروا أن ارحـــل.. قالوها مدويةً لتزلزل الأرض من تحت الأقدام.

* * *

تِلاوَةٌ و تَرانِيمُ بالجُمُعَةِ الأخِيرَة.. البيُوت فَرَغَت الشَوَارِعُ تكدَّسَت المَيَادِينُ امْتَلَأْت الأسوار رُجَّت ساعة حرجة تنقلب بها الموازين الأعلام ترفرف والصيحات تعلو فالجَميع أصبح فردًا ليس بينهم مرغوم ولا خائف حان دورك يا تاريخ لتكتب صفحة فخر أخْرَى لك تبدأ بشعب وتنتهى بمصر.

* * *

محمول فوق الأعناق كونه القائد المعهود ينادى لسانه بما حمله قلبه ليال سودٍ طِوال بالأمس لم يكن مُرحّبًا بك واليوم هو الميلاد المشهود يومٌ حَسِبَهُ العَجَزَةُ مستحيلَ الحدوث.

* * *

fb/mashro3pdf

أدركَنا الليل بظلامه فتأبى الشمس المُغادَرَة.. نهار لم يقرر الانتهاء بعد يزداد لهيب الشعلة توهجًا ليطغى نورها الشعلة التي انتزعناها من جوف الكهف المظلم لتحين ساعة لفظ الحكم الذي أصدرناه وينطق بها ذويه المخلصين «لقد رَضخَ الحاكم لشعبه» أكثر من ثَلاثين عامًا انمحوْا بخطاب لم يتعدّ الثَلاثين ثانية.

* * *

الأحْرُف حَجبت مُطلق مَعَانى الوَصْف.. يقفز في الهواء عاليًا معتقدًا لمس السحاب يجرى كالمسوس ويلوّح بعَلَمه في الفضاء يخِرّ ساجدًا لله حمدًا على جُوده يُقبّل ابنه تحسبه سيلتهمه يرقص وكأنه في ليلة عُرسِه يلتقط الصور مشيرًا بعلامة النصر يرفع كفّيْه للسماء ويردد التكبيرات.

* * *

بَيَاضُ الصُّبْحِ.. بأول الشارع الذي لطالما حلم بهجره يتوقف صابر ويستجمع ذكريات الحى «كم من مرة تغنّيتُ بالسوء عنك ولم أكن أعلم إنك أعز البقاع لقلبى وكم من مرة بها رأيتك لتكون تلك الأولى لأراك

fb/mashro3pdf

لسانى لم يتوقّف عن لعنتك ليُخفِى الجوف محبتك تمنيت الرحيل عنك وأنا من وضع روحه فداءً لك».. يتَرَقْرَقَ الدمع من عينه ويباعد ذراعه كاشفًا عن صدره استقبالا لصابر الغد رآه المارّة فعرفوا إنه ابن منطقتهم أخفضوا رؤوسهم ليُلقوا عليه السلام «أهلًا بعودتك يا بطل».

- يـــــاه.. الشارع وحشنى اوى وكأنى بقالى سنين بعيد.. أول مرة أول مـــــرة في حياتى أحس إن الشارع ده بتاعى!

* * *

صعد الدّرَج حطّ بجسده أمام الباب وأخذ يضغط الجرس بضغطة لا تعرف التراجع رنين مُتَوَاصِل وكأنه صَفير النجدة لديه ليهرعوا مُلَبّيين.

- حمد الله على السلامة يا صابر كده تقلقنا عليك طول المدة دي!

- (بعين ناعسة وصوت يكاد لا يعبر من شفتيْه) انام عايز انـــام

حمله الأب كمُصاب حرب الأم بقربهم تفضحها ملامح

fb/mashro3pdf

القلق يضعه برفق فوق سريره بالغرفة التي تم إعدادها لاستقباله يوم وليلة ولا شيء يختطفون النظر ليطمئنوا عليه أفقط جثمان هامد ارتفاع وانخفاض صدره هو الدليل على أنه ما زال حيًا.

* * *

شجَرُ الخِلافِ يتَأرْجح.. أَطَلَّ صابر من الشّرْفة على الشَّارِع المُزْدَحِم كوب شاى فوق السور ونَسِيم وغُرُوبٌ وسَكِينة «عَفَوْت عنكِ يا دنيا».. في مرحلة ما من حياتك تكتشف إنك صرت شخصًا آخر لم تكن ستقابله أبدًا بَارَكَته أرواح طيبة بحَدْس مُطَمْئِن إلى قلبه إنه الغَلَبَة لمن سَعَى فِى الأَرْضِ مُحْتَسِبًا وعَازِمًا على هزم البَلايَا فانشُد مُبْتَغاك وستناله عَاد صابر من الشُّرود حين استشعر يد أخته كوثر تربت على كتفه يلتفت لها فيجد على وجهها ابتسامة وفى يدها الهاتف الخاص به يرتعش لاستقباله اتصال يأخذ الهاتف من يدها وتتركه ثوان من التردد تنتهى بالرد.

- السلام عليكم.

fb/mashro3pdf

- وعليكم السلام أستاذ صابر معايا؟

- أيوة مين حضرتك؟

- معاك مكتب الطحان يا فندم أنا بتّصل بحضرتك عشان اقولك إننا حددنا معاد السفر الخاص بك وهيكون الأسبوع الجاى ومن غير تكاليف للفيزا فيا ريت تعدّى علينا عشان تنهى أوراقك و تاخد تذكرة السفر بتاعتك

- (خُبِطَ بمطرقة خلف رأسه ليسترجع مشهد المقابلة بالمكتب تنتابه الحيرة لتكون إجابته) حاضر ربنا يسهل إن شاء الله

* * *

«ينغلق الخط وتَنقلِب مَلامِحُ وَجْهِه قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى الحال قد تَبَدَّلت بعد أن حُمّل الأمانة الغُصَّة في الحَلْق تزيد الخيارات حِدَّة تحاصره الظنُون تُهْجُرُه المَشُورَة تنْسَحب الأنوار المرشدة لتتركه في ظلام دامس»

* * *

fb/mashro3pdf

كانت هناك تلك الصورة القبيحة المعلّقة بالحوائط فوق رؤوسنا جميعًا كنا نكره تلك الصورة التي تضايقنا لكن لم يُقدِم أحدُنا على إزاحتها تركناها لزمن حتى غفلنا إننا نحن من أوجدها في ذلك المكان العالى وبيوم قذفنا حجرًا كسرنا الزجاج مزقنا الصورة وفرحنا بإزالتها لكننا تركنا إطارها الفارغ متواجدًا بمكانه الإطار الذي حمى الصورة لسنين ذاك الإطار الأسود السميك المتراكم عليه العَفَن إلى أن التصق به وصار جزءًا منه.

* * *

fb/mashro3pdf

لم يعُد بحَوْزتى أوراقًا أُخرى لتقلبها

ليس من بعد تلك الصفحة من صفحاتٍ أُخْرى لتطويها

نَفِدت الأسطر من بين أنَامِلى لأبلُغ مُنْتَهاها

نقطة فاصلة لن يسطر من بعدها القلم

القرار قد لاذ بالفرار من الدائرة

لأنك أنت من امتلك الإبْصار

أنت من أَدْرَكَ المَعْنَى المُسْتَعَار

ومَنْ اهْتَدَى إلى صواب الاخْتيار

أنت أيها القارئ من بَرِئَ الوَصَايا

فقط حين تؤمن بنفسك

ستُدرِك إنك ولدت لتقود المسير

فاشهِر السّيفَ ولا تُفلِت الرَّايَة

واكتُب أيها النّبْرَاسىّ النهاية

fb/mashro3pdf

إهْداءٌ إلى مَنْ بَارَكَت رُوحُهُ الكَلِمَةَ وفَنى جَسَدُهُ فَلَمْ يَقرَأها

fb/mashro3pdf

رواية

رامي عمّار

النبراسي

يا مَن
هو مَحل ناظري
وهو المُستمع للدائي .. يا
من حَسبَني أتيته سابرًا على
قدمَيّ وأنا المُعلق في مخالب
الطير تَخطفني الى ما شاءَ العليمُ
مَقصده. جئتك بما نبأني الخَبيرُ
بمَكنونه وعن سؤالك مُجيبٌ بما
تَهادى لبالك من أسراره. فلا شأنَ لك
بعالمي فالمؤهومُ وَهمُه الوَهمُ
كالسابح ببحر الفكر غرقان.
فبالجواب أتيتك وبالخلاص
أتيتني. فإنه لأنا المُجاورُ
وإنك لأنتَ النبراسيّ

تصميم الغلاف
عبد الرحمن الصواف

المصري للنشر والتوزيع

fb/mashro3pdf